دار المعارف للتأليف والترجمة والنشر

نفائس المخطوطات

المجموعة الرابعة

بتحقيق

الشيخ محمد حسن آل ياسين

الطبعة الأولى

مطبعة المعارف - بغداد

١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

دار المعارف للتأليف والترجمة والنشر

نفائس المخطوطات

المجموعة الرابعة

بتحقيق

الشيخ محمد حسن آل ياسين

الطبعة الأولى

مطبعة المعارف - بغداد

١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

((في هذه المجموعة))

١٠ ـ مسالة وجيزة في الغيبة للشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ

١١ ـ رسالة في أحوال عبدالعظيم الحسني للصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ

١٢ ـ رسالة آداب البحث وشرحها لطاش كبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ

١٣ تخميس البردة للسيد علي خان المدني الشيرازي المتوفى سنة ١١١٨ هـ

١٤ ـ مسالة في البداء للشيخ محمد الجواد البلاغي المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى

نقدم اليوم الى القارىء العربي الكريم هـذه المجموعة الجديدة من سلسلة « نفائس المخطوطات » . تلك السلسلة التي أخذت على عاتقها إحياء نوادر المخطوطات ونفائسها ، وإخراجها بهذا الشكل المتقن الأنيق .

ولقد لقينا من جمهرة العلماء والباحثين ومن سائر الهيئات الثقافية في داخل العراق وخارجه ما شجّعنا على الاستمرار في إصدار هذه السلسلة والثبات على ذلك مهما كلف الأمر .

كما كان لما لقيناه من وزارة المعارف العراقية من تشجيع ومساعدات ما حثّنا على المضي قدماً في هـذا المشروع الجليل ، وإن لها يداً كبرى في إخراج هذه المجموعة ونشرها ، فلها منا بالغ الشكر .

وإننا إذ نشكر لسائر الأساتذة الأعلام وسائر المؤسسات العلمية ثناءهم ومديحهم ، ونقدهم وملاحظاتهم . نرجو من الله

تعالى ـ مخلصين ـ أن يمدنا بعون من عنده ، لنخرج مجموعات هذه السلسلة ـ في المستقبل ـ بفترات أقرب وشكل أفضل . إنه خير موفق ومعين .

وختاماً نقدم لسائر المشجعين والمؤازرين ـ عوداً على بدء ـ جميل الثناء وجزيل الامتنان .

الكاظمية : دار المعارف للتأليف والترجمة والنشر

مسألة وجيزة في الغيبة

للسيد الشريف المرتضى علي بن الحسين

٣٥٥ - ٤٣٦ هـ

الشريف المرتضى

« علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام . نقيب العلويين . أبو القاسم الملقب بالمرتضى علم الهدى ، السيد المشهور بالعلم ، المعروف بالفهم ، ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، ومات سنة ست وثلاثين وأربعمائة »(١)

« هو ذو المجدين ، وكانت اليه نقابة الطالبيين ، وكان شاعراً كثير الشعر ، يعرف النحو واللغة . له تصانيف في علم الكلام على مذهب الشيعة . روى عن جماعة من النحاة العلماء وروي عنه ، وكتابه المسمى بالغرر والدرر ـ وهي مجالس أملاها تشتمل على فنون من معاني الأدب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك ـ كتاب ممتع يدل على فضل كثير وتوسع فى الاطلاع على العلوم »(٢)

« متوحد في علوم كثيرة ، مجمع على فضله ، مقدم في العلوم ، مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك . له ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت »(٣)

ومن بليغ شعره قوله :

يقولون : لا تجزع من الشيب ضلة ... وأسهمه اياي دونهم تصمي
وما سرني حلم يفيء الى الردى ... كفاني ما قبل المشيب من الحلم
اذا كان ما يعطيني الحزم سالباً ... حياتي فقل لي كيف ينفعني حزمي

---

(١) معجم الأدباء : ١٣ / ١٤٧
(٢) انباء الرواة : ٢ / ٥٤٨
(٣) فهرست الطوسي : ٩٩

وقد جربت نفسي الغـداة وقاره فما شد من وهني ولا سد من ثلمي
واني مذ اضحى عذاري قراره أعاد بلا سقم وأجفى بلا جرم (١)

والحديث عن هــــذا الشريف العظيم حديث متشعب الأطراف فسيح الجوانب لا يتسع له مقامنا الضيق المحدود ، لأن علم الهدى بما منحه الله وآتاه من طول الباع ، وعمق الغور ، وسعة الأفق ، ودقة التفكير ، وروعـة التعبير ، في سائر العلوم والفنون ، وفي سائر أنحاء الثقافة الاسلامية وفروعها المختلفة ، لرجل عظيم جداً والى حد بعيد ، وأنى لهذه الصفحات المختصرة أن تأتي على بعض ما يجب أن يقال فيه فضلاً عن كله .

واذن . فلسنا نقصد من هذه المقدمة سوى التعريف بمؤلف الرسالة بمقدار إجمالي يدل القارىء على موجز من حقيقته ووزنه العلمي ، تاركين التفاصيل لمظانها التاريخية وبحوثها الخاصة .

وقد سبق لي أن أشرت في مقـدمة رسالة الشريف المرتضى في الاصول الاعتقادية ـ وقد تم نشرها في المجموعة الثانية من نفائس المخطوطات ـ الى عثوري على مجموع خطي ثمين يضم عدة رسائل للشريف رضوان الله عليه .

وها اني اقدم اليوم رسالة أخرى من تلك الرسائل يدور موضوعها وبحثها حول الامام المهدي عليه السلام ، الذي تعتقد الشيعة الامامية بحياته وغيبته ، وقد ناقش المؤلف فيهـا آراء مخالفيه بالرأي مناقشة مبنية على الادلة المنطقية العقلية الواضحة .

والواقع اننا ـ الآن ـ في حاجة ماسة الى نشر هذا التراث العلمي الدائر ، وخاصة في مثل هذه المواضيع الدقيقة ، وبمثل هذه الأقلام الرائعة ، ليطلع

(١) معجم الأدباء : ١٣ / ١٤٩ ـ ١٥٠

الجمهور المثقف على آراء الجميع ونظرياتهم الصريحة الصحيحة في مثل هـذه المعتقدات .

والنسخة التي طبع الكتاب عليها منقولة عن نسخة البحاثة الكبير الشيخ محمد محسن الطهراني النجفي التي نسخها بخطه عام (١٣٤٨ هـ) عن النسخة الأم التي عثر عليها في الكاظمية في ضمن كتب آل الاعرجي . والتي تلفت أخيراً تحت تأثير انفجار خزان الماء أودى بها وبمجموعة أخرى من المخطوطات النادرة .

وقد سميت الرسالة في المجموع المخطوط بـ : (مسألة وجيزة في الغيبة) ، وعند رجوعنا الى فهارس الكتب المؤلفة في عهد الشريف لم نجد هذا الاسم في قائمة كتب الشريف المسجلة هناك . ولكنا رأينا نصاً للشيخ الطوسي يشمل هذه الرسالة ويضمها تحت عنوانه .

يقول الطوسي :

« وله . . . مسائل مفردات نحواً من مائة مسألة في فنون شتى »[1]

وأعتقد ان هذه الرسالة الموجزة من جملة تلك المسائل المشار اليها في الفهرست ، خصوصاً وانها مختصرة جداً لا يكاد يصح أن تدعى بكتاب مستقل .

ومهما يكن من أمر . فهذه هي الرسالة الثانية من رسائل الشريف المرتضى أقدمها اليك راجياً منك الرضا والقبول .

(١) الفهرست : ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد مرتبط للنعم ، مستدفع للنقم ، وصلى الله على خير العرب والعجم ، المبعوث الى سائر الأمم ، محمد وعلى آله الطاهرين النسم ، الظاهري الفضل والكرم .

وبعد : فان المخالفين لنا في الاعتقاد يتوهّمون صعوبة الكلام علينا في الغيبة وسهولته عليهم ، وليس بأول اعتقاد جهل اعتقدوه ، وعند التأمل يبين عكس ما توهموه .

بيان ذلك :

ان الغيبة فرع لأصول إن صحّت فالكلام في الغيبة أسهل شيء وأوضحه ، إذ هي متوقفة عليها . وإن كانت غير صحيحة فالكلام في الغيبة صعب غير ممكن .

بيان هذه الجملة : ان العقل يقضي[1] بوجوب الرياسة في كل زمان ، وان الرئيس لا بدّ من كونه معصوماً مأموناً منه كل فعل قبيح ، وإذا ثبت هذان الأصلان لم يبق إلا امامة من نشير الى امامته ، لأن الصفة التي اقتضاها ودلّ على وجوبها لا توجد إلا فيه ، وتساق الغيبة بهذا سوقاً ضرورياً لا تقرب منه شبهه ، فيحتاج أن ندلّ على صحة الأصلين المذكورين فنقول :

أما الذي يدل على وجوب الامامة في كل زمان ، فهو أنا نعلم بلا طريق للشك علينا ان وجود الرئيس المطاع المهيب المنبسط اليد أدعى الى فعل الحسن ،

---

(١) في الاصل : يقتضى

وأردع عن فعل القبيح ، وان المظالم بين الناس اما أن ترتفع عند وجود من وصفناه أو تقل ، وان الناس عند الاهمال وفقد الرؤساء يبالغون في القبيح ، وتفسد أحوالهم ، ويختل نظامهم ، والأمر في ذلك أظهر من أن يحتاج الى دليل ، والاشارة اليه كافية ، فاستقصاؤه في مظانه .

وأما الذي يدلّ على وجوب عصمة الرئيس المذكور فهو أن علة الحاجة اليه موجودة ، فوجب أن يحتاج الى رئيس وامام كما احتيج اليه ، والكلام في الامام كالكلام فيه ، وهذا يقتضي القول بأئمة لا نهاية لها وهو محال ، أو القول بوجود امام فارقت عنه علة الحاجة .

وإذا ثبت ذلك لم يبق إلا القول بامام معصوم لا يجوز عليه القبيح وهو ما قصدناه ، وشرح ذلك وبسطه مذكور في أماكنه .

وإذا ثبت هذان الأصلان فلابد من القول بأنه صاحب الزمان بعينه ، ثم لابد - من فقد تصرّفه وظهوره - من القول بغيبته ، لأنه إذا بطلت إمامة من اثبتت له الامامة بالاختيار ، لفقد الصفة التي دل العقل عليها ، وبطل قول من خالف من شذّاذ الشيعة من اصحابنا بما صاحبنا كالكيسانية والناووسية والواقفية لانقراضهم وشذوذهم ، ولعود الضرورة الى فساد قولهم ، فلا مندوحة عن مذهبنا ، فلابد من صحته ، وإلا خرج الحق عن الامامة ، واذا علمنا بالسياقة التي ساق الاصلان اليها ان الامام هو ابن الحسن عليه السلام دون غيره ، ورأيناه غائباً عن الابصار ، علمنا انه لم يغب - مع عصمته ، وتعين فرض الامامة فيه وعليه - إلا بسبب اقتضى ذلك ، ومصلحة استدعته ، وحال اوجبته ، ولم يعلم وجه ذلك مفصلاً ، لأن ذلك مما لا يلزم علمه ، وإن تكلفنا وتبرعنا بذكره كان تفضلاً ، كما إذا تبرعنا بذكر وجوه المتشابه من الآي بعد العلم بحكمة الله تعالى سبحانه كان ذلك تفضلاً ، فنقول :

السبب في الغيبة هو إخافة الظالمين له ، ومنعهم يده من التصرف فيما جعل اليه التصرف فيه ، لأن الامام انما ينتفع به النفع الكلي اذا كان متمكناً مطاعاً مخلىً بينه وبين اغراضه ، ليقود الجنود ، ويحارب البغاة ، ويقيم الحدود ، ويسدّ الثغور ، وينصف المظلوم ، وكل ذلك لا يتم إلا مع التمكن ، فاذا حيل بينه وبين أغراضه من ذلك سقط عنه فرض القيام بالامامة ، واذا خاف على نفسه وجبت غيبته ، والتحرز من المضار واجب عقلاً وسمعاً ، وقد استتر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الشعب ، واخرى في الغار ، ولا وجه لذلك إلا الخوف والتحرز من المضار .

فان قيل : النبي (ص) ما استتر عن قومه إلا بعد أداء ما وجب عليه اداؤه ، وقولكم في الامام يخالف ذلك ، ولأن استتاره (ص) لم يطاول ولم يتماد ، واستتار امامكم قد مضت عليه الشهور ، وانقرضت دونه الدهور .

قلنا : ليس الأمر على ما ذكرتم ، لأن استتار النبي (ص) كان قبل الهجرة ، ولم يكن عليه السلام أدّى جميع الشريعة ، فان معظم الاحكام واكثرها نزل بالمدينة ، فكيف ادّعيتم ذلك ، على انه لو كان الأمر على ما ادعيتم من تكامل الأداء قبل الاستتار لما كان ذلك رافعاً للحاجة الى تدبيره وسياسته ، وأمره ونهيه ، ومَن الذي يقول ان النبي (ص) غير محتاج اليه بعد أداء الشرع ، واذا جاز استتار النبي (ص) مع تعلّق الحاجة به لخوف الضرر ، وكانت التبعة[1] لازمة لمن أخافه واحوجه الى الاستتار وساقطة عنه ، فكذلك القول في استتار امام الزمان .

فأما التفرقة بطول الغيبة وقصرها ففاسدة ، لأنه [لا] فرق بين القصير والممتد ،

---

(١) في الأصل : البعثة

وذلك موقوف على علته وسببه ، فتطول بطول السبب ، وتقصر بقصره ، وتزول بزواله ، والفرق بينه وبين آبائه عليهم السلام انه ظاهر بالسيف ، ويدعو الى نفسه ، ويجاهد من خالفه ، ويزيل الدول ، فأيّ نسبة بين خوفه من الأعـداء وخوف آبائه عليهم السلام لولا قلة التأمل .

فان قيل : فأيّ فرق بين وجوده غائباً لا يصل اليه أحد ، ولا ينتفع به بشر . وبين عدمه ، وإلا جاز إعدامه الى حين علم الله سبحانه بتمكين الرعية له ، كما جاز أن يبيحه الاستتار حتى يعلم منه التمكين له فيظهر .

قيل له : أولاً نحن نجوّز أن يصل اليه كثير من أوليائه والقائلين بامامته، فينتفعون به ، ومن لا يصل اليه منهم ولا يلقاه من شيعته ومعتقدي امامته فهم ينتفعون به في حال الغيبة النفع الذي نقول انه لا بد في التكليف منه ، لأنهم مع علمهم بوجوده بينهم ، وقطعهم على وجوب طاعته عليهم ، ولزومها لهم ، لا بد من أن يخافوه ويهابوه في ارتكاب القبائح ، ويخشوا تأديبه ومؤاخذته ، فيقلّ منهم فعل القبيح ، ويكثر فعل الحسن ، أو يكون ذلك أقرب ، وهـذه جهة الحاجة العقلية الى الامام ، فهو وإن لم يظهر لأعدائه لخوفه منهم ، وسدهم على انفسهم طرق الانتفاع به ، فقد بينا في هذا الـكلام الانتفاع به لأوليائه على الوجهين المذكورين ، على أنّا نقول : الفرق بين وجود الامام وغيبته من أجل الخوف من أعدائه ، وهو يتوقع في هذه الحالة أن يمكنوه فيظهر ويقوم بمـا فوّض الله اليه وبين عدمه جلي واضح ، لأنه إذا كان معدوماً كان [ما] يفوت العباد من مصالحهم ، ويعدمونه من مراشدهم ، ويحرمونه من لطفهم ، منسوباً الى الله سبحانه لا حجة فيه على العبـاد ولا لوم ، وإذا كان موجوداً مستتراً باخافتهم اياه ، كان ما يفوتهم من المصالح ، ويرتفع عنهم من المنافع منسوباً اليهم ، وهم الملومون

عليه ، والمؤاخذون به ، على أنّ هذا ينعكس عليهم في استتار النبي (ص) فأيّ شيء قالوه فيه أجبناهم بمثله هنا ، والقول بالحدود في حال الغيبة ظاهر ، وهو انها في حياة فاعلها وحياتها ، فان ظهر الامام - والمستحق للحدود باق وهي ثابتة عليه بالبينة أو الاقرار - استوفاها منه ، وإن فات ذلك بموته كان الاثم على من أخاف الامام ، وألجأه الى الغيبة ، وليس تنسخ الشريعة في إقامة الحدود ، لأنه انما يكون نسخاً لو سقط فرض اقامتها مع التمكين وزوال الأسباب ، والله المستعان وبه التوفيق ٢

رسالة

في أحوال عبدالعظيم الحسني

للصاحب كافي الكفاة اسماعيل بن عباد

٣٢٦ ـ ٣٨٥ هـ

عبد العظيم والصاحب

ابو القاسم عبدالعظيم علم من أعلام الدين المبرّزين في عصره، ومن جملة من تروى عنهم الأحاديث، ويرجع اليهم في أمور الشريعة وأحكامها، ويعتمد عليهم في نقل الروايات والنصوص الشرعية.

وبلغ من علو شأنه أنك لا تجد كتاباً من كتب الرجال والحديث خالياً من ذكر هذا «العظيم»، بل أجمعت تلك الكتب على الترجمة له والتحدث عنه، وتصحيح مرويّاته، وتصديق نقله. من دون أن يشذ منها كتاب، أو يتنازع فيه اثنان [1].

وحسبك من رفعة مقامه أن تجد الصاحب بن عباد - وهو هو في جلالة شأنه وسمو مكانته - يكتب فيه هذه الرسالة المختصرة الجميلة، هادفاً من ذلك الى بيان قدر عبدالعظيم ومقامه في العلم والفضل والحديث، واظهارما له من المنزلة عند الله تعالى وكبير الدرجة.

وقد أحسن الصاحب في عمله هذا كل الاحسان، فله منا جزيل الشكر والامتنان.

---

(١) راجع في ذلك: «فهرست الطوسي: ١٢١، ورجال النجاشي: ١٧٣ — ١٧٤، وخلاصة الاقوال للحلي: ٦٤، وعمدة الطالب للداوودي: ٨٠، ومنهج المقال للميرزا الاسترابادي: ١٩٦، ومنتهى المقال لأبي علي: ١٨٣، واتقان المقال للشيخ محمد طه نجف: ٧٩.»

ومؤلف الرسالة شخصية إسلامية كبرى لا تحتاج الى ترجمة وتعريف . شخصية مفعمة بالعلم والأدب ، والحصافة والكياسة ، وسائر الصفات الفضلى التي يحتاجها الافذاذ في عالمي العلم والحكم ، وقد سبق لنا أن ذكرنا شيئاً من تاريخه في تقديمنا لرسائله المنشورة في المجموعات السابقة من هذه السلسلة (١) ، فلا نعيد .

وبالنظر لرغبتنا الملحة في نشر سائر كتب الصاحب المخطوطة قدمنا هذه الرسالة للنشر في هذه المجموعة على أن ننشر في مجموعاتنا الأخرى ـ أو بشكل مستقل ـ سائر كتبه ومؤلفاته إن شاء الله .

والمؤسف جداً اننا لم نشاهد ذكراً لاسم هذه الرسالة في كتب التاريخ والتراجم القديمة كمعجم الادباء ويتيمة الدهر ووفيات الأعيان وأمثالها (٢)، ولكنّ لدينا من القرائن ما يبعث على الاطمئنان بصحة نسبتها ، كقدم تاريخ كتابة النسخة الأم ، وكاشتمال هذه الرسالة على الاهتمام بالعدل والتوحيد ، وذكر ما روي عن عبدالعظيم فيهما ، ومدح المترجم له بكونه ممن يقول بهما ، وهذا مشابه لنمط اسلوب الصاحب واهتمامه بهذين الاصلين من أصول الدين في سائر كتبه الكلامية .

والنسخة التي طبعت عليها الرسالة مخطوطة عام (١٣٢٤ هـ) في النجف الاشرف ، وهي منتسخة ـ بدورها ـ عن نسخة المحدث المغفور له الميرزا حسين النوري ـ صاحب المؤلفات الشهيرة ـ المخطوطة عام (٥١٦ هـ) بخط بعض بني بابويه .

ومما يؤسف له عدم عثورنا على النسخة الأم ، لنقارن بينها وبين هذه النسخة ،

---

(١) لاحظ ما كتبناه في تقديم رسالتي الابانة وعنوان المعارف المنشورتين في المجموعة الاولى ، ورسالة التذكرة المنشورة في المجموعة الثانية .

(٢) اشير الى هذه الرسالة في بعض الكتب المتأخرة كأعيان الشيعة : ١١ / ٣٠ ، ٤ ، والغدير : ٤ / ٤٢

ولا ندري أين ذهبت ، وفي أية خزانة للكتب في العالم اختفت .

وقد قمت بدراسة الأصل وتصحيحه والتعليق عليه بالمقدار المطلوب ، والله ولي التوفيق .

واليك الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

[وصلى الله على محمد وآله الطاهرين] [1]

سألتَ عن نسب عبدالعظيم الحسني المدفون بالشجرة، صاحب المشهد ـ قدّس الله روحه ـ وحاله واعتقاده، وقدر علمه وزهده، وانا ذاكر ذلك على اختصارٍ وبالله التوفيق.

هو ابو القاسم عبدالعظيم بن عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن ابن علي بن ابي طالب عليه وعلى آبائه السلام. ذو ورع ودين. عابد معروف بالأمانة وصدق اللهجة. عالم بأمور الدين. قائل بالتوحيد والعدل. كثير الحديث والرواية.

يروي عن ابي جعفر محمد بن علي بن موسى وعن ابنه ابي الحسن صاحب العسكر عليهم السلام، ولهما اليه رسائل[2]، ويروي عن جماعة من أصحاب موسى بن جعفر وعلي بن موسى عليهما السلام، وله كتاب يسميه: «كتاب يوم وليلة»، وكتب ترجمتها روايات عبدالعظيم بن عبدالله الحسني.

وقد روى عنه من رجالات الشيعة خلق: كأحمد بن ابي عبدالله البرقي ـ أحمد ابن محمد بن خالد[3] ـ وأبو تراب الروياني، وخاف من السلطان فطاف البلدان

(١) زيادة من الناسخ لم تكن في النسخة الأم.

(٢) في الأصل: الرسائل.

(٣) في الأصل: واحمد بن محمد بن خالد، ولكن الواو زائدة، والمقصود هو أحمد بن محمد ابن خالد بن عبدالرحمن بن محمد بن علي البرقي، وكان جده محمد بن علي ممن حبسه يوسف بن عمر والي العراق بعد قتل زيد بن علي بن الحسين (ع)، ثم قتله، وكان خالد صغير السن فهرب مع أبيه عبدالرحمن الى برقة قم فأقاموا بها. صنف كتباً كثيرة طبع بعضها. راجع: «رجال النجاشي: ٥٥، وفهرست الطوسي: ٢٠ ـ ٢٢، وخلاصة الأقوال: ٩».

على أنه فيج[١] ، ثم ورد الري وسكن بسربان[٢] ، في دار رجل من الشيعة في سكة الموالي ، وكان يعبد الله عزوجل في ذلك السرب[سان] . يصوم النهار ويقوم الليل، ويخرج مستتراً فيزور القبر الذي يقابل الآن قبره وبينهما الطريق ، ويقول : هو قبر رجل من ولد موسى بن جعفر عليهما السلام ، وكان يقع خبره الى الواحد بعد الواحد من الشيعة حتى عرفه اكثرهم ، فرأى رجل من الشيعة في المنام كأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إن رجلاً من ولدي يحمل غداً من سكة الموالي فيدفن عند شجرة التفاح في (باغ)[٣] عبدالجبار بن عبدالوهاب ، فذهب الرجل ليشتري الشجرة ، وكان صاحب (الباغ) رأي ايضاً رؤياً في ذلك ، فجعل موضع الشجرة مع جميع (الباغ) وقفاً على أهل الشرف والتشيع يدفنون فيه ، فمرض عبدالعظيم ـ رحمة الله عليه ـ ومات ، فحمل في ذلك اليوم الى حيث المشهد .

فضل زيارته :

دخل بعض أهل الري على أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام فقال : أين كنت ؟ ، فقال : زرت الحسين صلوات الله عليه ، فقال : أما انك لو زرت قبر عبدالعظيم عندكم لكنت كمن زار الحسين صلوات الله عليه .[٤]

---

(١) الفيج : الخادم ، والكلمة من الدخيل

(٢) في الأصل : بساربانان ، وهو خطأ من الناسخ صوابه ما ذكرناه في المتن ، والمقصود به محلة بالري . يروى عن الرشيد قوله : الدنيا أربع منازل ـ وقد نزلت منها ثلاثاً ـ احداها دمشق والرقة والري وسمرقند ، وأرجو أن انزل الرابعة ، ولم أر في هذه المنازل الثلاث التي نزلتها موضعاً أحسن من السربان ، لأنه شارع يشق مدينة الري ،في وسطه نهرجار، عن جانبيه جميعاً ـ الاشجار ملتفة متصلة ، وبينها الأسواق محتفة . معجم البلدان : ٥ / ٦١

(٣) الباغ : لفظة فرسية معناها البستان ، وما أدري كيف جوز الصاحب لنفسه اقحامها وهو العلامة اللغوي الكبير !

(٤) ذكر هذا الحديث الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين في كتابه ثواب الأعمال : ٥٦ .

وصف علمه :

روى أبو تراب الروياني قال : سمعت أبا حماد الرازي يقول : دخلت على علي بن محمد عليه السلام بسر من رأى فسألته عن أشياء من الحلال والحرام فأجابني فيها ، فلما ودعته قال لي : يا حماد إذا أشكل عليك شيء من أمر دينك بناحيتك فسل عنه عبدالعظيم بن عبدالله الحسني ، واقرأه مني السلام .

ما روى عنه في التوحيد :

روى علي بن الحسين السعدابادي[١] : عن أحمد بن ابي عبدالله البرقي قال: حدثني عبدالعظيم الحسني في خبر طويل يقول : ان الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء ، وليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر ، بل هو مجسّم الاجسام . ومصوّر الصور . خالق الاعراض والجواهر.[٢]

عبيدالله بن موسى الروياني ، عن عبدالعظيم ، عن ابراهيم بن ابي محمود[٣] قال : قلت للرضا عليه السلام : ما تقول في الحديث الذي يروي الناس بأن الله ينزل الى السماء الدنيا ؟ فقال : لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه ، والله ماقال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك . انما قال : ان الله عز وجل يُنْزِل ملكاً الى السماء الدنيا ليلة الجمعة فينادي هل من سائل فأعطيه ؟ وذكر الحديث .

---

(١) علي بن الحسين السعدابادي ابو الحسن القمي : روى عنه الكليني والزراري وكان معلم ثانيهما ، وصحح حديثه بعض علماء الرجال .

راجع : منهج المقال : ٢٣٠ ، ومنتهى المقال : ٢١٧ ، واتقان المقال : ٢٠٧ »

(٢) روى المجلسي هذه الرواية بتفصيل اكثر في بحار الانوار : ٨٤/٢ و ١٦٩/٩

(٣) ابراهيم بن ابي محمود الخراساني ثقة . روى عن الرضا عليه السلام . له كتاب أسماه المؤرخون « مسائل » .

راجع : « رجال النجاشي :١٨ ، وفهرست الطوسي : ٨ ، وخلاصة الاقوال : ٣ »

وبهذا الاسناد عن الرضا عليه السلام في قوله [تعالى] : ﴿ وجوه يومئذٍ ناضرة الى ربها ناظرة ﴾[1] قال : مشرقة منتظرة ثواب ربها عز وجل :

ما روى عنه في العدل :

روى علي بن الحسين السعدابادي ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني ، عن علي بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن موسى الرضا عليهم السلام قال : خرج أبو حنيفة من عند الصادق جعفر ابن محمد عليهما السلام فاستقبله موسى عليه السلام فقال : يا غلام ممن المعصية ؟ فقال : لا تخلو من ثلاثة :

إما أن تكون من الله عز وجل وليس منه ، فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لم يكتسبه

وإما أن تكون من الله ومن العبد ، فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف .

وإما أن تكون من العبد وهي منه ، فان عاقبه فبذنبه ، وإن عفا عنه فبكرمه وجوده .

وروى عبيدالله بن موسى ،عن عبدالعظيم ، عن ابراهيم بن أبي محمود قال : قال الرضا عليه السلام : ثمانية أشياء لا تكون إلا بقضاء الله وقدره : النوم واليقظة ، والقوة والضعف ، والصحة والمرض ، والموت والحياة .

ثبّتنا الله بالقول الثابت من موالاة محمد وآله ، وصلى الله على سيدنا رسوله محمد وآله اجمعين .

---

(١) سورة القيامة - ٢٢ - ٢٣ -

رسالة آداب البحث

وشرحها

لأبي الخير أحمد المشتهر بطاش كبرى زاده

٩٠١-٩٦٨ هـ

أبو الخير أحمد

بين يديك الآن رسالة في علم المناظرة وآداب البحث . يهدف مؤلفها منها الى تعريف المناظرة لغة واصطلاحاً ، وبيان وظائف كل من السائل والمعلل ، ثم الاشارة الى مآل المناظرة وآدابها واصولها ، وما ينبغي للمناظر من أسس وقواعد يبني عليها مناظرته . فهي - إذن - رسالة جميلة في موضوعها وفي أسلوب بحثها وتمحيصها للموضوع

وعلم المناظرة وآداب البحث « علم يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المناظرين ، وموضوعه الأدلة من حيث انها يثبت بها المدعى على الغير ، ومباديه أمور بيّنة بنفسها ، والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة لئلا يقع الخبط في البحث . فيتضح الصواب . »[1]

« وهذا العلم كالمنطق يخدم العلوم كلها ، لأن البحث والمناظرة عبارة عن النظر من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب وإلزاماً للخصم، والمسائل العلمية تتزايد يوماً فيوماً بتلاحق الافكار والأنظار ، فلتفاوت مراتب الطبائع والأذهان لا يخلو علم من العلوم عن تصادم الآراء وتباين الأفكار وإدارة الكلام من الجانبين للجرح والتعديل والرد والقبول ، وإلا لكان مكابرة غير مسموعة ، فلابد من قانون يعرف مراتب البحث على وجه يتميز به المقبول عما هو المردود ، وتلك القوانين هي علم آداب البحث . »[2]

---

(١) ابو الخير طاشكبري زاده في كتابه مفتاح السعادة « كشف الظنون ١ / ٣٨ »

(٢) ابن صدرالدين في كتابه الفوائد الخاقانية « كشف الظنون ١ / ٣٩ »

أما مؤلف الرسالة فهو « عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصلح الدين المشتهر بطاش كبري زاده »[١] أحد أعلام عصره وأفذاذ جيله فضلاً وعلماً وسعة اطلاع ودقة نظر .

ولد سنة (٩٠١ هـ)[٢] « وتفقه على أبيه وغيره في أنقرة وبروسة ثم في الأستانة وأماسيا ، ولما بلغ الثلاثين من عمره تعين استاذاً في مدرسة اورج باشا في ديموتوقة ، وانتقل بعد ذلك الى مدرسة المولى محيي الدين في الآستانة ثم في الاسحاقية بآسكوب ثم في أدرنة ، وتعين قاضياً في الآستانة وفي حلب ، وتنقل في مدارس مختلفة من بلادالروملي ، واصيب بالتهاب في عينيه أعدمه البصر[٣] »

« درس بعدة بعدة مدارس ، وأخذ عن أبيه الحديث والتفسير ، قرأ على المولى سيدي محمد القوجوي ، ثم على المولى محمد الشهير بميرم جلبي وكمل عنده العلوم الرياضية . . . . . وكان بحراً زاخراً منصفاً مصنفاً راضياً بالحق عارياً عن المكابرة والعناد . »[٤]

اشتغل بالتأليف فألَّف كثيراً من الكتب عدَّها اسماعيل باشا البغدادي (٤٢) كتاباً[٥]، ولم يطبع غير قسم قليل منها . ونورد فيما يلي أهم تلك المؤلفات :

١ ـ الشقائق النعمانيه في علماء الدولة العثمانية . ترجم فيه (٥٢٢) عالماً من الذين نبغوا في ظل الدولة العثمانية .

٢ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة . في موضوعات العلوم وأقسامها .

٣ ـ نوادر الأخبار في مناقب الأخيار .

---

(١) شذرات الذهب ٨ / ٣٥٢

(٢) هدية العارفين ١ / ١٤٣

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ٣ / ٣١٥

(٤) شذرات الذهب ٨ ـ ٣٥٣

(٥) هدية العارفين ١ ـ ١٤٣ ـ ١٤٤

٤ ـ رسالة آداب البحث وشرحها[١] « وهي الرسالة المفتوحة بين يديك »
توفي ـ رحمه الله ـ عام (٩٦٨ هـ) كما صرَّح بذلك أكثر من ذكره من أرباب التاريخ ، وقد خالف فيه حاجي خليفة حيث أرخ وفاته (٩٦٣ هـ)[٢] ونظن أن هذا التاريخ من شطحات القلم أو أغلاط الطبع ، وذلك لما سجله المترجم له في كتابه الشقائق من أنه فرغ من تأليفه عام (٩٦٥)[٣] ، وهو برهان جلي على خطأ ما جاء في كشف الظنون .

* * *

والنسخة التي طبعت عليها الرسالة محفوظة في خزانة كتب المتحف العراقي تحت رقم (٧٢١ ـ U ـ C ـ 4) مخطوطات ، وهي مكتوبة في عام (١١٧٩ هـ) بخط جلي واضح ، ولكنها غير خالية من الأغلاط الاملائية والتصحيف وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر مما يدل على أن كاتبها جاهل باللغة العربية ، وقد سجل ناسخها متن الرسالة منبهًا عليه بخط أحمر فوقه .

وفي آخر هذه النسخة كتب الناسخ متن الرسالة بلا شرح ، فقمنا بمقارنته مع المتن السابق الممتزج بالشرح ، ونبهنا في الهامش على مواضع الاختلاف بين المتنين ، وجعلنا المتن محاطًا بقوسين لئلا يختلط بشرحه ، ثم صححنا المجموع جهد الطاقة فالحمد لله على ذلك

وإننا إذ نتحف قراء العربية بهذه الرسالة القيمة نرجو أن نكون قد قمنا ببعض ما يجب تجاه تراثنا العربي وإحيائه .

---

(١) ذكر هذه الرسالة وشرحها ونسبتها الى ابي الخير جم من المؤرخين منهم حاجي خليفة في كشف الظنون (١ / ٤١) واسماعيل البغدادي في هدية العارفين (١ / ١٤٤) وجرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (٣ / ٣١٦) والشيخ عباس القمي في الكنى والالقاب (٢ / ٣٩٦)

(٢) كشف الظنون ١ / ٤١

(٣) الكنى والألقاب (٢ / ٣٩٧) واكتفاء القنوع (٣٨٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا مانع لعطائه ، ولا معارض لقضائه ، ولا مناقض لانشائه ، والصلاة على سيد انبيائه وسند اصفيائه ، وعلى آله وأصحابه أدلة أوليائه .

وبعد : فقد كتبت عدّة من السطور ـ مع قلة البضاعة وكثرة الفتور ـ في علم المناظرة والآداب ، وقد قصدت الآن شرحها بعون الله الملك الوهاب .

(احمدك اللهم يا مجيب كل سائل) آثر صيغة المضارع لتدل على الاستمرار التجددي ، وآثر منها الحكاية عن نفسه لتدل صريحاً على حمده بخصوصه ، وذكر المحمود بطريق الخطاب ليكون حمده في مقام الاحسان ، المفسر بأن تعبد الله كأنك تراه ، وعقّبه بكلمة « اللهم » إظهاراً لكمال الضراعة في أداء حق الحمد ـ إذ النداء في حقه تعالى لا يحمل إلا على الدعاء والتضرع ، وإشارة الى الموعود في قوله تعالى : ﴿ ادعوني استجب لكم[1] ﴾ ، وسلك في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم على الطريقة المذكورة فقال : (واصلي على نبيك المبعوث بأقوى الدلائل) والمراد بأقوى الدلائل هو القرآن العظيم لأنه أبهر المعجزات . وذلك لأن إعجاز نظمه دليل للبلغاء ، وبطون فحواه دليل لأرباب الحقايق ، مع أنه معجزة باقية على وجه كل زمان (وعلى آله وصحبه المتوسلين بأعظم الوسائل) والمراد به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأن دينه اكمل الأديان ، وشرعه أفضل الشرايع ،

---

(١) سورة المؤمن ـ ٦٢ ـ

الذي شرفه الله بالبراءة عن النسخ والتبديل ، وله الشفاعة الكبرى يوم القيامة، والوسيلة والمقام المحمود في الجنة الى غير ذلك من الفضائل . فأي وسيلة أعظم ممن شأنه ذلك . (ما جرى البحث بين المجيب والسائل وهو) مأخوذ من : ـ سألته عن الشيء ـ وهو الجاري في المباحثات ، والمجيب حينئذٍ مأخوذ من جواب السائل ، فحينئذٍ يكون هذا من براعة الاستهلال صريحاً . وأما ما سبق في الفقرة الأولى من لفظ السائل فهو مأخوذ من : ـ سألته الشيء ـ وهو بمعنى سائل المعروف ، والمجيب حينئذ يمكن أن يعتبر فيه براعة الاستهلال بطريق التورية . ولا يخفى ما في لفظ ـ الدلائل والبحث ـ من براعة الاستهلال ايضاً ، وفي لفظ ـ الوسائل والسائل ـ من التجنيس .

(وبعد : فهذه رسالة لخصتها في علم الآداب) واللام فيها للعهد الخارجي لتعينها في هذا الفن لآداب البحث . (مجتنباً عن طرفي الاقتصاد الاخلال والاطناب) لأن كلاً منهما مخل للبلاغة ـ كما بين في موضعه ـ . وقد قيل :

« كلا طرفي قصد الأمور ذميم »(١)

و « خير الأمور اوسطها » .

(والله أسأل أن ينفع بها معاشر الطلاب) . وتقديم مفعول ـ أسأل ـ للتخصيص مع الاهتمام (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه المآب) أي المرجع والمصير .

(اعلم) فيه تنبيه على أن ما بعده مما ينبغي أن يعتنى بشأنه ويهتم لتحصيله . (ان المناظرة) في اللغة مأخوذة إما من النظير . أو من النظر بمعنى الابصار . أو الانتظار ، وفي الاصطلاح هي (النظر) بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين

---

(١) لم نعثر على قائل هذا الشطر .

الشيئين إظهاراً للصواب . والمراد بالنظر توجه النفس نحو المعقولات ، والبصيرة للقلب بمنزلة البصر للعين . وانما قيّد النظر بها لا خراجها النظر قبل تحرير البحث، لأن النظر هناك لا يكون بالبصيرة . والمراد من الجانبين المعلّل والسائل لاختصاصها بهما في عرف هذه الصناعات ، فلا يكون مخالفةُ المتناكرَيْن في النسبة من غير تكلم بهما ونظرُ المعلم والمتعلم في أحد طرفي الحكم – مناظرةً ، إذ لا يطلق عليهما المعلل والسائل . والمراد بالنسبة النسبة الحكمية المتناولة للحملية والاتصالية والانفصالية . والمراد بالشيئين الموضوع والمحمول [أ]و المقدم والتالي ، ويحترز بذلك عن النظر في نفس النسبة من حيث انها اعتبارية أو ثابتة في نفس الأمر ، وإلا لأختص النظر بهذه الصورة . وأراد باظهار الصواب الاشارة الى غرض المناظر ، ويحترز به عن الجدل ، لأن الغرض منه حفظ أي وضع كان وهدم أي وضع كان . ثم إن قصد اظهار الصواب أعم من قصد إظهاره في يده مع إرادة غلط الخصم و[من] قصد إظهاره في يد الخصم ، ولا يخرجه شيء من القصدين المذكورين عن كونه غرضاً للمناظرة ، إلا أن السلف كانوا [لا] يقصدون ظهور الصواب على يد الخصم دفعاً لحظ[1] النفس .

ونوقش[2] في هذا التعريف بعدم صدقه على المانع منعاً مجرداً ، إذ ليس له نظر في النسبة ، ويجاب عنه : بأن المنع مفوّت لاثبات النسبة فيكون من قبيل النظر فيها .

(ولكلٍ من الجانبين وظائف) اعتبرها العلماء ، (وللمناظرة آداب) استحسنها بعض من السلف وهو الامام الرازي[3] .

---

(١) في الاصل : لحظ

(٢) في هامش الكتاب : ونوقض

(٣) هو العلامة أبو عبدالله فخرالدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل =

(أما وظيفة السائل فثلاث) وانما قدمها ـ وإن كانت وظيفة المعلل أقدم في الوجود ـ لأن المناظرة لا تتحقق إلا بانضمام وظيفة السائل اليها :

احدها ـ (المناقضة) : وتسمى بالنقض التفصيلي .

(و) ثانيها ـ (النقض) : وقد يقيد بالاجمالي .

(و) ثالثها ـ (المعارضة) : وهي تنقسم الى المعارضة بالقلب ، والمعارضة بالمثل، والمعارضة بالغير ، وسيجيء تفصيلها .

(لأنه) أي السائل (اما أن يمنع مقدمة الدليل) . وانما قدم منع المقدمة في الذكر لتعلقه بجزء الدليل ، والجزء متقدم على الكل طبعاً . (أو) يمنع (الدليل نفسه) (أو) يمنع (المدلول) . وانما قدم منع الدليل لأنه أصل بالنسبة الى المدلول ، والأصل مقدم على الفرع طبعاً . (فان كان الأول) وهو منع مقدمة الدليل (فان منع مقدمة الدليل مجرداً) عن الشاهد ، (أو) منع مقدمة الدليل (مقروناً بالسند) الذي هو شاهد المنع بأن يقول : لا نسلم هذا لِمَ لا يجوز أن يكون كذا؟ ، أو يقول : لا نسلم ذلك وانما يلزم هذا ان لو كان كذا ، أو يقول : لا نسلم كيف والحال كذا (فهو المناقضة ، ومنها) أي من المناقضة (نوع) مندرج تحتها (مسمى) في قانون التوجيه (بالحل وهو) أي الحل عند المناظرين (تعيين موضع الغلط) ، وهو كسائر أنواع المناقضة وارد على مقدمة من مقدمات الدليل ، وانما الفرق بينهما هو أن الحل انما يرد على مقدمة مبنية على الغلط بسبب اشتباه شيء آخر ، ولا يشترط ذلك في سائر

= المفسر المتكلم صاحب التصانيف المشهورة . ولد عام (٥٤٤ هـ) وتوفي عام (٦٠٦ هـ) وأشهر مؤلفاته تفسيره الكبير الشهير .

راجع : (وفيات الأعيان ٣ / ٣٨١ ؛ وشذرات الذهب ٥ / ٢١ ؛ والكنى والألقاب ٣/ ٩ ـ ١١ ؛ وتاريخ آداب اللغة العربية ٣ / ٩٤) .

انواعها ، بل يكتفي فيها بالمنع لطالب الدليل . (وأما منعه) أي منع السائل مقدمة الدليل (بالدليل) أي باقامة الدليل على خلافها (فهو غصب غير مسموع عند المحققين) من أهل النظر خلافاً لبعض منهم وهو مولانا ركن الدين العميدى[1] وإنما لم يسمعوه (لاستلزامه الخبط) في البحث لانقلاب وظيفة المتخاصمين . (نعم قد يتوجه ذلك) أي منع السائل المقدمة بالدليل (بعد إقامة الدليل) أي بعد إقامة المعلل الدليل (على تلك المقدمة الممنوعة) التي منعها السائل بالدليل ، لأن دليل السائل حينئذ يكون معارضة لدليل المقدمة ، وهذا وارد على قانون التوجيه ، وهذا هو الذي بعث المجوزين للغصب على تجويزهم ، إلا انه غير صحيح لأن اصلاحه ثانياً لا يصحح إمكان إصلاحه أولاً .

(وان كان الثاني) وهو منع نفس الدليل (فان منع بالشاهد فهو النقض) ويسمى اجمالياً ، لأنه راجع الى منع شيء من مقدمات الدليل على الاجمال . وذلك الشاهد على نوعين :

احدهما : تخلف الحكم عنه لأن المدلول لازم للدليل ، وتخلف اللازم عن الملزوم لا يمكن ، فلا يكون تخلف المدلول عن الدليل إلا لفسادٍ فيه .

وثانيهما : استلزام الدليل المحال ، وذلك لأن الأمور المحققة في الواقع لا تستلزم[2] المحال ، فاستلزام الدليل المحال لا يكون إلا لعدم صحته في الواقع . واعلم أن النقض قد يكون باجراء الدليل في صورة التخلف بعينه بلا تغيير ، وقد

---

(١) هو ركن الدين أبو حامد محمد بن العميد الفقيه الحنفي السمرقندى . مصنف الطريقة العميدية المشهورة . كان اماماً في الخلاف حسن الاخلاق كثير التواضع . توفي في جمادي الآخرة ببخارى عام (٦١٥ هـ)

راجع : (شذرات الذهب ٥ / ٦٤ ، والكنى والألقاب ٢ / ٤٤٧)

(٢) في الأصل : يستلزم

يكون باجراء ملخص الدليل وزبدته في الصورة المذكورة ، ولا يخرجه التغيير المذكور عن كونه نقضاً ، وقد ينتقض الدليل بترك بعض الصفات وتسمى نقضاً مكسوراً . (وأما منعه) أي منع السائل نفس الدليل (بلا شاهد) من الشاهدين المذكورين (فهو مكابرة غير مسموعة اتفاقاً) من أرباب النظر ، وذلك لأن المنع على شيء غير مدلل يكون لطلب الدليل فيسمع ، لأن استعلام غير المعلوم جائز عرفاً . وأما منع نفس الدليل فهو استعلام الثابت في نفس الأمر فيكون راجعاً الى جهل السائل ، ولا يلزم من عدم علمه بالشيء عدمه في الواقع .

(وإن كان الثالث) وهو منع المدلول (فان منع) السائل (المدلول بالدليل فهو المعارضة ، وأما منعه بلا دليل فهو مكابرة غير مسموعة أيضاً) أي كمنع نفس الدليل بلا شاهد (اتفاقاً) من أرباب النظر لما قررناه آنفاً . واعلم أن المعارضة مقابلة الدليل بدليل آخر ممانع للاول في ثبوت مقتضاه ، وهي تجري في الحكم بأن يقيم دليلاً على نقيض الحكم المطلوب ، وفي علته بأن يقيم دليلاً على نفي شيء من مقدمات دليله بعد إثبات المعلل تلك المقدمة بالدليل ، والاول يسمى معارضة في الحكم ، والثاني معارضة في المقدمة ، ويكون بالنسبة الى تمام الدليل مناقضة . والمعارضة في الحكم إما أن يكون بدليل المعلل بعينه وهو معارضة بالقلب ومعارضة فيها معنى النقض ، أما المعارضة فمن حيث إثبات نقيض الحكم ، وأما النقيض فمن حيث إبطال دليل المعلل إذ الدليل الصحيح لا يقوم على النقيضين ، وإما أن يكون بدليل آخر وهي المعارضة الخالصة ، فان كانت صورته كصورته تسمى معارضة بالمثل ، وإلا فمعارضة بالغير .

(وأما وظيفة المعلل) في كل من الأمور الثلاثة المذكورة اعني المناقضة والنقض الاجمالي والمعارضة .(اما عند المناقضة فاثبات المقدمة الممنوعة بالدليل)

إن كانت كسبية ، (أو بالتنبيه عليها) إن كانت ضرورية ، وعلى الأول إما أن يسلم السائل فينقطع الباحث ، أو يمنع ، فحينئذٍ يأتي فيه الاقسام الثلاثة المذكورة في وظيفة السائل ، وهكذا الى أن ينتهي الى عجز المعلل أو قبول السائل . (أو إبطال المعلل سنده) أي سند المنع (إن كان) السند (مساوياً له) أي لازماً للمنع بأن يلزم من ثبوته وانتفائه ثبوت المنع وانتفاؤه ، (إذ منعه) أي منع السند المساوي (مجرداً) عن الدليل المبطل (غير مفيد) ، وذلك لأن السند ما يلزم من جوازه ورود المنع فلا يجوز أن يكون أعم ، إذ لا يلزم من ثبوت الأعم ثبوت الأخص ، بل السند إما أخص وإما مساوٍ ، ولا يفيد منعهما أصلاً ، لأن غرض المانع طلب الدليل على [الـ] مقدمة الممنوعة ، ولا تندفع[1] تلك المطالبة بمنع السند الذي هو الشاهد ، وكذا لا يندفع المنع بابطال السند الأخص ، إذ لا يلزم من انتفاع الملزوم الأخص انتفاء اللازم الاعم ، فلا يتيسر الكلام في السند إلا بابطال السند المساوي ، إذ يلزم من انتفاء اللازم المساوي انتفاء الملزوم وبالعكس . (أو إثبات المعلل مدعاه بدليل آخر) إن قدر عليه و لا يلزم الافحام .

(وأما) وظيفة المعلل (عند النقض الاجمالي فنفي شاهده) وقد عرفت انه إما تخلف الحكم عن دليله أو استلزامه المحال ، فيدفعه (بالمنع) لأن الناقض لما كان مستدلاً على بطلان الدليل توجه عليه المنع إما بمنع جريان الدليل في صورة التخلف ، او بمنع المقدمة التي استدل بها في صورة استلزامه المحال ، ومرجعه الى منع لزومها او منع استحالتها . (او إثبات) المعلل (مدعاه بدليل آخر) إن لم يكن ما ذكره من المنع .

---

(١) في الأصل : يندفع

(وأما) وظيفة المعلل (عند المعارضة فالتعرض) أي تعرض المعلل (بدليل المعارض بما مر) من وظائف السائل (إذ يصير المعلل حينئذ) أي عند المعارضة (كالسائل) في صحة إجراء وظائفه (وبالعكس) أي يصير السائل كالمعلل في التزام وظائفه .

(ثم ان من كان بصدد التعليل قد لا يكون مدعياً بل يكون ناقلا عن الغير فلا يتوجه عليه) أي على الناقل (المنع) أي منع المنقول ، (بل يطلب منه) أي من الناقل (تصحيح النقل فقط) فيحضر الناقل الكتاب المنقول عنه ، لأنه لم يدّع إلا صدور هذا المنقول عن قائله لا صحة المنقول ، وذلك لأن مدار المنع هو دعوى ثبوت الحكم فينتفي بانتفائه ، ألا ترى[1] ان المنع لا يتوجه على المحدود[2] لعدم الحكم فيه . أما إذا حكم بالحد على المحدود فيمكن توجه المنع عليه ، مثلاً لا يصح أن يقال : لا نسلم أن الانسان حيوان ناطق ، فان ذلك يجري مجري أن يقال للكاتب : لا نسلم كتابتك . نعم يصح أن يقال لا نسلم ان هذا حد الانسان ، أو الحيوان جنس له ، أو الناطق فصل له ، الى غير ذلك ، فان هذه الدعاوى صادرة عنه ضمناً وقابلة للمنع .

(هذا الذي ذكرناه) من وظائف السائل والمعلل (طريق المناظرة) الجارية بينهما ، (وأما مآلهـا) أي ما تؤول[3] اليه المناظرة (فهو أنه) ـ الضمير للشأن ـ لا يخلو البحث عن أمرين : (إما أن يعجز المعلل عن إقامة الدليل على مدعاه ويسكت) عن المناظرة (وذلك) السكوت (هو الافحام) في اصطلاحهم ،

---

(١) في الأصل : الا يرى
(٢) » » : على الحدود
(٣) » » : ما يؤول

(أو يعجز السائل عن التعرض له) أي المعلل بشيء مما ذكرناه في وظائفه (بأن ينتهي دليل المعلل الى مقدمة ضرورية القبول) بأن يكون إنكارها خروجاً عن طور العقل ، (أو ينتهي دليله الى مقدمة مسلمة) عند السائل وتضطره الى القبول ، (وذلك) العجز (هو الالزام) على اصطلاحهم ،(فحينئذ) أي على تقدير عدم خلو البحث عن أحد الأمرين المذكورين (تنتهي [(١)] المناظرة ، إذ الاحتمال الثالث مردود ، إذ لا قدرة لهما) أي للمعلل والسائل (على إقامة وظائفهما لا الى نهاية) لعدم وفاء الطاقة البشرية على ذلك .

(وأما آداب المناظرة فهي تسعة) آداب :

أحدها ـ انه (ينبغي للمناظر أن يحترز عن الايجاز) والاختصار في الكلام لئلا يكون مخلاً بالفهم .

(و) ثانيها ـ انه ينبغي أن يحترز (عن الاطناب) لئلا يؤدي الى الملال .

(و) ثالثها ـ انه ينبغي أن يحترز (عن استعمال الألفاظ الغريبة) في البحث لئلا يؤدي الى عسر الفهم .

(و) رابعها ـ انه ينبغي أن يحترز (عن استعمال اللفظ المجمل) في البحث بلا تقييد يدل على [الـ] معنى المقصود ، وإلا يلزم التردد في فهم المعنى المراد ، (ولا بأس بالاستفسار) أي استفسار الخصم معنى اللفظ المجمل ، وبعض المناظرين عدوا ذلك الاستفسار سؤالاً ، لكنه يكون سؤالاً بالمعنى اللغوي لا بالمعنى الاصطلاحي ، وهذا انما يجوز اذا كان في اللفظ غرابة أو إجمال ليبين معناه ، اما بالنقل عن أهل اللغة ، أو بالنقل عن أهل العرف العام أو الخاص ، ولا يجوز فيما عداه لكونه تعنتاً ومفوتاً [(٢)] لغرض المناظر الذي هو اظهار

---

(١) في الأصل : ينتهي
(٢) » » : متفوتاً

الصواب ، ولذلك قيل : ما يوجد فيه الاستبهام حسن فيه الاستفهام .

(و) خامسها ـ انه ينبغي أن يحترز (عن الدخل) في كلام الخصم (قبل الفهم) أي قبل فهم مراده لئلا يلزم الضلال في البحث ، ولا بأس بالاعادةوإن افتقر الفهم الى إعادة [ـ٩] مرتين ، اذ الكلام قبل الفهم أقبح من الاعادة .

(و) سادسها ـ انه ينبغي أن يحترز (عن التعرض) أي تعرض المناظر (لما لا دخل له في المقصود) لئلا ينتشر الكلام ، ويحصل البعد عن المرام ،وهو اظهار الصواب في مجلس واحد .

(و) سابعها ـ انه ينبغي أن يحترز (عن الضحك ورفع الصوت في اثناء المناظرة وأمثالها) من اظهار البطش ، وتحريك اليد ، وما يدل على السفاهة ، لأن هؤلاء من أوصاف الجهال يسترون بذلك جهلهم . قال بعض الفقهاء :

مالي اذا ألزمته حجة قابلني بالضحك والقهقهه

ان كان ضحك المرء من فقهه فالدب في الصحراء ما أفقهه[1]

ويروى : « والتبسم»[2] بدل « القهقهة» و « ما أفهمه » بدل« ماأفقهه»

(و) ثامنها ـ انه ينبغي ان يحترز (عن المناظرة مع اهل المهابة والاحترام) لئلا يكل ذهنه بجلالة قدر الخصم فتسقط[3] حدة ذهنه ودقته[4] ، ويفوت غرض المناظرة

(و) تاسعها ـ انه ينبغي (ان لايحسب المناظرُ الخصم حقيراً) ، لأن استحقار الخصم ربما يؤدي الى صدور الكلام الضعيف عن المناظر فيكون

---

(١) لم نعثر على اسم ناظم هذين البيتين .
(٢) كذا ورد في الأصل
(٣) في الاصل : فيسقط
(٤) « « : في دقته

سبباً لغلبة الخصم الضعيف عليه ، وهذا أشنع وجوه الالزام .

(هذا الذي ذكرناه) من وظائف المتخاصمين وآداب المناظرة (غاية ما يراد في هذا الباب) أي باب آداب البحث ، إذ لا مزيد عليها في تقرير القواعد والاصول ، (ومن الله التوفيق) لاظهار الحق (وإلهام الصواب في كل باب). الحمد لله على التمام .

[سوده الفقير السيد حسين لسنة تسع وسبعين ومابة وألف]

السيد علي خان

بردة البوصيري قصيدة شهيرة لا تحتاج الى تعريف ، وبلغ من عظم أهميتها انها طبعت عدة طبعات ، وشرحت عدة شروح .

وناظم عقدها هو الامام محمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري ، ممن تعاطى الكتابة ، وتنقل في بعض المناصب الحكومية في وقته ، حتى توظف بالشرقية بلبيس مصر ، ونظم الشعر فأحسن فيه ، وله عدة قصائد وقطع اشتهرت من بينها القصيدة الميمية المعروفة بـ « بالبردة » و بـ « الكواكب الدرية في مدح خير البرية » . توفي سنة (٦٩٥ هـ) .(١)

واما ناظم التخميس فهو العلامة الكبير السيد علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين بن محمد بن معصوم بن احمد الحسيني الحسني المدني المشتهر بالسيد علي خان الشيرازي .

ولا أظن ان هذا الأديب الكبير بحاجة الى ترجمة وإشادة ، فذكره شهير يعرفه العلماء والفقهاء والادباء والحكماء ، لأنه خاض لجج هذه العلوم ففاز بقصب سبقها ، وخلف كتبه ومؤلفاته دليلاً بيناً على تبحره في هذه الفنون وتمكنه منها بالشكل الكامل المستوعب .

ولد ــ رحمه الله ــ في المدينة المنورة عام (١٠٥٢) ، وهاجر والده الى الهند عام (١٠٥٥) من دون أن يصحبه معه ، فلما بلغ مبلغ الرجال سافر الى الهند

---

(١) راجع في ترجمته : (فوات الوفيات : ٢/ ٢٠٦، وتاريخ آداب اللغة العربية: ٣/ ١٢٠)

عام (١٠٦٦) واتجه الى بلد أبيه - حيدر آباد - فالتقى به هناك .

ولما توفي والده دعاه السلطان عالم كير شاه محمد وقرّبه اليه وأمّره على عدة مناطق هناك ، ومنحه لقب « خان » .

ومكث السيد علي « خان » ثابتاً في إمارته حيناً من الدهر حتى سئم الحياة في الهند فطلب من السلطان أن يسمح له بزيارة مكة والمدينة فسمح له ، فسافر اليها ثم عرّج في رجوعه على العراق لزيارة العتبات المقدسة ، ومن العراق ذهب الى ايران في عهد الشاه حسين الصفوي فوضع رحله في شيراز مقيماً هناك حتى وافته المنية عام (١١١٨)[١].

خلف من المؤلفات والتصانيف مجموعة نفيسة نذكر أهمها فيما يلي :

١ - رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (ع) « طبع بايران »

٢ - سلافة العصر في محاسن أعيان العصر	« طبع بمصر »
٣ - أنوار الربيع في أنواع البديع	« طبع بايران »
٤ - حديقة العلم	« طبع بحيدرآباد »
٥ - طراز اللغة	« مخطوط »
٦ - الحدايق الندية في شرح فوائد الصمدية	« طبع بايران »
٧ - الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة	« مخطوط »
٨ - سلوة الغريب « في وصف رحلته الى الهند »	« مخطوط »
٩ - ديوانه[٢]	« مخطوط »

(١) في تاريخ وفاة السيد علي خان اختلاف كبير بين مترجميه ، وقد اخترنا هـذا التاريخ بخصوصه لأنه موافق - بحساب الجمل - لتاريخ وفاته الفارسي : « سر مقر شيراز » ، وقد اشتبه الأمر على جرجي زيدان فأرخ وفاته تارة - ١١٠٤ - (تاريخ آداب اللغة : ٣/٢٨٥) واخرى - ١٠٧٨ - (٣/٢٧٨) وكلاهما بعيدان عن الصواب .

(٢) راجع في ترجمة السيد علي خان وذكر كتبه : « أمل الآمل : ٦٥ ، ومستدرك =

والنسخة التي طبع عليها الكتاب محفوظة في مكتبة العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم في النجف ، وليست مؤرخة ولكن المظنون أنها كتبت قبل قرن تقريباً ، وتبدأ بقصيدة البردة مجردة عن التخميس ثم التخميس ثم تليه أدعية وعوذات دينية ، وكاتب النسخة فارسي وقد سجل في الهوامش ترجمة بعض الأبيات الى الفارسية ، والورقة الأولى من المخطوط ناقصة كتبها مالكها بخطه عن نسخ البردة المطبوعة .

وقد حاولت جهدي في تصحيحها وتنقيحها من أغلاطها الاملائية والكتابية التي يرجع سببها الى جهل ناسخها بالعربية .

= الوسائل : ٣ / ٤٨٦ ، والفوائد الرضوية : ١ / ٢٦٩ ، وتاريخ آداب اللغة العربية : ٣ / ٢٨٥ ، والذريعة : ٢ / ٤٢٦ ، وآثار الشيعة الامامية : ٤ / ١٧١ »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي مدح نبيَّه بأشرف المدائح ، وشرف[ه] من فضله المبين ماشهد به كل غادٍ ورائح ، والصلاة والسلام على رسوله الذي رفع مقامه الأسنى ، وأدناه من جنابه المقدَّس قاب قوسين أو أدنى ، وعلى آله وأصحابه الذين نسق من درر أوصافهم عقداً نظيماً ، ووعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما .

وبعـــد :

فيقول العبد الفقير الى ربه الغني علي صدرالدين بن أحمد نظام الدين الحسيني الحسني ، أنا لها الله من فضله الباهر السني : لما كانت القصيدة المعروفة بالبردة للامام السعيد شرف الدين أبي عبدالله محمد بن سعيد أشهر المدائح النبوية ، وأبلغ المادح المصطفوية ، قد هبَّت عليها [من] بركات ممدوحها نسمات القبول ، وسرى صيتها في الآفاق مسرى الشمال والقبول . أحببت أن أخمسها تخميساً يروق الأسماع والنفوس ، وينزل منها منزلة الوشاح من عاتق العروس ، توسلاً اليه ـ صلى الله وسلم عليه ـ ، بالدخول في جملة [مَنْ] مدحه ففاز بقبوله(1) ، وقصده فظفر بغاية مأموله(2) .

ولما انتظم ـ بحمد الله ـ عقد نظامه ، واقترن حسن ابتدائه بحسن ختامه ، قدمته الى الحضرة التي [سما] ملكها على الملوك ، سموَّ المالك [على] المملوك ،

---

(1) في الأصل : بقوله

(2) » » : مدموله

خليفة الله في أرضه . محيي معالم سنته وفرضه . ظل الله الممدود على الأنام . سيف الله المسلول على عبدة الأصنام . مؤسس قواعد الدين الحنيف . مشيد عماد الملة المنيف . المؤيد بنصر الله [في] المحافل والمغازي . ابي الظفر محمد اورنك زيب عالم گير الغازي . لازالت ألويته بنصره خافقة كقلوب اعدائه ، ولا فتئت اندية بذكره منشرحة كصدور أوليائه ، وأني أرغب أن يحلّ هذا التخميس من القبول محل أصله ، وأن يجعله من أعظم الوسائل الى نيل نواله وفضله ، وعلى الله قصد السبيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ساهرَ الليلِ ترعى النجمَ في الظلمِ   وناحلَ الجسمِ من وجدٍ ومن ألمِ
ما بالُ جفنِك يذرو الدمع كالعنمِ   أمن تذكرِ جيرانٍ بذي سلم
مزجتَ دمعاً جرى من مقلة بدمِ

أم سجع صادحةٍ بالروضِ هائمةٍ   أمست كناثرةٍ للسجع ناظمةٍ
أم وجد نفسٍ لغيظِ الحبِ كاظمةٍ   أم هبَّت الريحُ من تلقاءِ كاظمةٍ
أو أومض البرقُ في الظلماء من أضمِ

مازلتَ صباً معنىً منذ كنتَ فتى   حتى دعتكَ الغواني اليومَ : يا أبتا
إن كنتَ تجحدُ حباً في الحشا ثبتا   فما لعينيكَ إن قلتَ : اكففا همتا
وما لقلبكَ إن قلتَ : استفق يهمِ

كم رام قبلك كتمانَ الهوى أممُ   ظناً بأنَّ الهوى يخفى وينكتمُ
وما دروا أنهم في أمره وهموا   أيحسب الصبُ ان الحبَ منكتمُ
ما بين منسجمٍ منه ومضطرمِ

هَبْكَ اعتلاتَ لما بالجسم من عللٍ   فما بكاك على عافٍ من الحللِ
لا والذي فتن الألبابَ بالمقــلِ   لولا الهوى لم ترقْ دمعاً على طللِ
ولا أرقتَ لذكر البانِ والعلمِ

برّأتَ نفسك من حبٍ به كمدتْ   وما جفونك من فرط البكا رمدتْ
والحال من سَقَمٍ بالجسم قد جهدتْ   فكيف تنكر حباً بعـدما شهدتْ
به عليك عدولُ الدمع والسقمِ

خفّض عليك فسر الحب قد علنا   فان جحدتَ فما تزداد غير عنا
هيهات جسمك عن حملِ الهوى وهنا   وأثبتَ الوجدُ خطّيْ عبرة وضنى
مثل البهار على خدّيك والعنمِ

حتى مَ يا عاذلي بالعذلِ ترهقُني   وكم تسائلُ عمّا راح يقلقُني
ماذا؟< أتسأل مَنْ >(١) بالحب يلحقُني   نعم سرى طيفُ مَن أهوى فأرّقني
والحب يعترض اللذاتِ بالألمِ

أمست لظى الحبِ الأشواق مسعرةً   والنفسُ قد أصبحت للوجدِ مظهرةً
فقــل لمن لامَ لما رام تبصرةً :   يا لائمي في الهوى العذريِ معذرةً
مني اليك ولو أنصفتَ لم تلمِ

إن كنتَ لم تدرِ اني غير مقتــدرِ   على السلوِ ولا قلبي بمصطبرِ
فانظر لقصة امري واستمع خبري   عــدتك حاليَ لا سري بمستترِ
عن الوشاةِ ولا دائي بمنحسمِ

أما علمتَ بأنّ الصب يولعُه   فرطُ الملام ولا - والله - يردعُه
وانني قائــل ما لست أدفعُه   محضتَني النصح لكن لست أسمعُه
ان المحبّ عن العذّال في صممِ

---

(١) كلتان مطموستان سجلنا أقرب الألفاظ اليها .

أجهدتَ نفسك في فرط النصيحة لي ولم أُحلْ قط عن ودي ولم أمِلِ
فدع ملامي وتأنيبي ولا تطلِ اني اتهمتُ نصيح الشيب في عذلي
والشيب أبعدُ في نصح عن التهمِ (١)

نفسي لأضعاف ما [أ] سمعتها حفظتْ لكنها من سنات اللهو ما يقظتْ
فلا ترمْ وعظها عمّا له لحظتْ فإنَّ أمّارتي بالسوء ما اتعظتْ
من جهلها بنذير الشيب والهرم

لم تصغِ سمعاً الى من لام أو عذرا حتى إذا الصبحُ في ظلماتها ظهرا
قضت ولم تقضِ من آمالها وطرا ولا أعدّتْ من الفعل الجميل قرى
ضيفٍ ألمَّ برأسي غير محتشمِ

بدا المشيبُ الذي قد كنتُ أحذرُه ولم يزعنيَ عما رمت منظرُه
يا ليتني كنت قبل اليوم أستره لو كنتُ أعلمُ أني ما أوقرُه
كتمت سراً بدا لي منه بالكتمِ

كأنما النفسُ لم تعلمْ بغاياتها حتى تمادت ومادت في عماياتها
إن زدتُ في المنع زادتْ في جناياتها من لي برد جماحٍ من غوايتها
كما يرد جماحُ الخيل باللجمِ

كم ازدهاها هوى الدنيا وزهوتها ولم تطعْ ناصحاً من فرط شقوتها
وان تردْ صحوها من بعد نشوتها فلا ترمْ بالمعاصي كسر شهوتها
إن الطعام يقوّي شهوة النهمِ

لا تحسبنها إذا أطلقتها هملا تعفّ من سأمٍ أو تنتهي مللا
لا بل تزيد على زلّاتها زللا (والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على
حب الرضاع وان تفطمْه ينفطمِ)

---

(١) في المخطوط : من التهم ، وصححناها على نسخة البردة المطبوعة

وان أبى القلب الا أن تخليَه منها وأعياك وجداً أن تسليَه
فانما هي أغوته لتبليَه فاصرف هواها وحاذر أن توليَه
ان الهوى ما تولى يُصم أو يصمِ

هي الموبقةُ تأتي وهي لائمة وقد تريك انتباهاً وهي نائمة
فاقمع رضاها ورعها وهي خائمة وراعِها وهي في الأعمال سائمة
وإن هي استحلت المرعى فلا تسمِ

واقتل مناها وان راحت مقاتلةً ولا تدعها لحبل الغي فاتلةً(١)
هي التي لم تزل للعقل خاتلةً كم حسّنت لذةَ للمرء قاتلة
من حيث لم يدرِ ان السمَّ في الدسمِ

لا تأخذنَّ بما تهوى ولا تدعِ واسلك سبيلَ الهدى والحق واتبعِ
وراقب النفس في زهدٍ وفي طمعِ واخشَ الدسائس من جوع ومن شبعِ
فرب مخمصة شرٌّ من التخمِ

كم أنشأت نفسك الآثام مذ نشأتْ والعين كم شاهدت من محرم ورأتْ
فعالج النفس من داءٍ به دنأتْ واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت
من المحارم والزمْ حميةَ الندمِ

والمال والجاه لا تعبأ بنقصهما وإن هما نكصا فافرح بنكصهما
وانفِ الدناء[ة] والدنيا وأقصهما وخالفِ النفسَ والشيطانَ واعصهما
وإن هما محضاك النصحَ فاتّهمِ

هما اللذانِ أضلا الخلقَ والامما وأهديا الأنام الحتفَ والغمما
فلا تكن واثقاً في حالة بهما ولا تطعْ منهما خصماً ولا حكما
فأنت تعرف كيدَ الخصم والحكمِ

(١) في الأصل : قاتلة

نصحتُ والنصحُ من مثلي كالخطلِ وهل يعالجُ ذا سقمٍ أخو عللِ
فلو عملتُ[(١)] بقولي كان أصلحَ لي أستغفرُ اللهَ من قول بلا عملِ
لقد نسبتُ به نسلاً لذي عقمِ

أخطأتُ يا صاح في قولي لك انتبهِ قبل انتباهيَ من غيي ومن سفهي
هذا لعمريَ من جهلي ومن بلهي أمرتك الخيرَ لكنْ ما أتمرتُ بهِ
وما استقمت فما قولي لك استقمِ

نفسي التي لم تزلْ باللهوِ غافلةً وفي برودِ الهوى والجهلِ رافلةً
لم اصطحب غيرَ أهل الغي قافلةً ولا[(٢)] تزودتُ قبل الموتِ نافلةً
ولم أصلِّ سوى فرضٍ ولم أصمِ

أمسي وأصبح بالآمال مشتغلا ولم أقمْ في ظلام الليل مبتهلا
ما هكذا قامَ بالطاعات مَنْ عملا ظلمتُ سُنّةَ مَنْ أحيي الظلامَ الى
أن اشتكتْ قدماه الضرَّ من وَرَمِ

وقام مجتهداً في الله حيثُ ثوى ولم يُملْه الى الراحات قسط هوى
وصدَّ ما صدَّه عن زهدِه وزوى[(٣)] وشدَّ من سغبٍ أحشاءه وطوى
تحت الحجارةِ كشحاً مترف الأَدَمِ

ما رامَ غيرَ العلى والمجد من إربِ بطاعة الله لا بالمال والنسبِ
لقد أتته كنوزُ الأرض من كثبِ وراودَتْهُ الجبالُ الشمُّ من ذهبِ
عن نفسه فأراها أيّما شممِ

هدتْ الى سبل التقوى مشورَتُهُ وكم تلتْ آيةً في الزهد صورَتهُ

(١) في الأصل : علمت
(٢) « « : وما تزودت ، وصححت على البردة المطبوعة
(٣) « « : وذوى

ولم تَصِدْ خربَ الدنيا صقورَته وأكَّدتْ زهدَه فيها ضرورته
ان الضرورة لا تعدو على العِصَمِ

لا يسكن البؤس والضراء حيث سكنْ ولا ضرورة حالٍ قد دعته لأنْ
ينال من سعة الدنيا لضنك زمنْ وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة مَنْ
لولاه لم تخرج الدنيا من العدمِ

هو الذي قال للعافي إليَّ إليْ اليه تطوى الفيافي والمهامه طيْ
بمجده المعتلي سادتْ بطون قصيْ محمدٌ سيدُ الكونينِ والثقليْ
نِ والفريقينِ من عُربٍ ومن عجمِ

مَنِ اصطفاه الاله الواحدُ الصمدُ وخصَّهُ بمزايا ما لها [ما] عددُ
فهو الصفي الوفي السيد السندُ نبيُّنا الآمرُ الناهي فلا أحدُ
أبرَّ في قول « لا » منه ولا « نعمِ »

له حقوقٌ أبانتها براعتهُ فمنْ يضعها فقد حقَّت إضاعتهُ
فكنْ له طائعاً تنجدْك طاعته هو الحبيب الذي ترجى شفاعته
لكلِّ هولٍ من الأهوال مقتحم

قد جلَّ في الفضل عن مثلٍ وعن شبهِ لمّا دعانا لحقٍ غير مشتبهِ
فكيف وهو بلا ريبٍ ولا شبهِ دعا الى الله فالمستمسكون بهِ
مستمسكون بحبلٍ غير منفصمِ

أنواره تخجلُ الاقمار في الغسقِ وخلقه يزدري بالعنبر العبقِ
أكرمْ به من نبيٍ واضح الطرقِ فاقَ النبيين في خلقٍ وفي خلقِ
ولم يدانوه في علمٍ ولا كرمِ

إن يسبقوه فمن أنواره اقتبسوا نورَ الرسالة إذ وافاهم القدسُ

وكلُّ عين كمالٍ منه منبجسٌ وكلهم من رسول الله ملتمسٌ
غرفاً من البحر أو رشفاً من الديمِ

به استبان قديماً نهج رشدهمُ وأظهر(١) الله حقاً صدقَ وعدهمُ
فهمْ مقرّون لولاه بفقدهمُ وواقفون لديه عند حدهمُ
من نقطة العلم أو من شكلة الحكمِ

زالت بجدواه عن كلٍ ضرورتُهُ والمنهل العذب قد راقتْ كدورتهُ
وأنبأتنا بكل الفضل سورتهُ فهو الذي تمَّ معناه وصورتهُ
ثمَّ اصطفاه حبيباً بارىء النسمِ

لا يؤخذ الشيء إلا من معادنهِ فانظر الى حسنه البادي وكامنهِ
تجدْه وهو وحيد في أحاسنهِ منزّه عن شريكٍ في محاسنهِ
فجوهر الحسن فيه غير منقسمِ

فلو سألت قريشاً عن سويّهمُ أشار كلّ اليه في نديّهمُ
فقل لواصفه(٢) المزري بغيّهمُ دعْ ما ادعته النصارى في نبيهمِ
واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكمِ

لا تخشَ في مدحه ذماً ولا تخفِ فليس في مدحة المختار من سرفِ
فانعته أشرف نعتٍ كاملٍ وصفِ وانسبْ(٣) الى ذاته ماشئت من شرفِ
وانسبْ الى قدره ما شئت من عظمِ

واخترْ له من كمال المدح أكملهُ ومن جميل معاني الوصف أجملهُ
ولا أراك مبيناً فيه مجملهُ فان فضلَ رسول الله ليس لهُ

---

(١) في الأصل المخطوط : وأظهره
(٢) « « : لواصفهم
(٣) « « : فانسب ، وصححت على نسخ البردة المطبوعة

حدٌّ فيعربُ عنه ناطقٌ بفمِ

عظيم قدرٍ رقى هـام العـلا وسما وشرَّفت قدماه الحـلَّ والحرما
فديته من عظيم لم يزل علما لو ناسبتْ قـدرَه آياتُه عظما
أحيا اسمه حين يدعى دارس الرممِ

انظر لملَّته الحسنى ومـذهبهِ تشهد بحقَّتها حقاً بلا شبهِ
ومذ أتانا بدين غير مشتبهِ لم يمتحنَّا بما تعيي العقول بهِ
حرصاً علينا فلم نرتبْ ولم نهمِ (١)

أتى بمعجز حقٍ أعجز البشرا وراق منا النهى والسمع والبصرا
وسرُّه وهو بالاعجـاز قد ظهرا أعيا الورى فهمُ معناه فليس يُرى
لاقرب والبعـد فيـه غير منفحمِ

إن لم يصلْ سرُّه يوماً الى أحدِ فليس من عجب يفضي الى لددِ
فانه حلَّ عن شبهٍ لمنتقدِ كالشمس تظهر للعينين من بُعدِ
صغيرةً وتكلُ الطرفَ من أممِ

لا تعجبنَّ لمنْ الغى وثيقته فاكثرُ الناس إذ ساروا طريقتهُ
لم يدركوا ـ وهم يقظى ـ خليقتهُ وكيف يدرك في الدنيـا حقيقتهُ
قومٌ نيامٌ تسلَّو عنه بالحلمِ

هيهات قد ضلت الآراء والفكرُ عن كنهه وانتفت عن دركه القدرُ
فان أردت به علماً له أثرُ فمبلغ العـلم فيه أنـه بشرُ
وانه خير خلق الله كلهمُ

أنـوار آياته لاحتْ لطالبهـا مثـل النجوم تجلت في غياهبها
وكل معجزة تعزى لصاحبهـا وكل آيٍ أتى الرسل الكرام بها

(١) في الأصل : « حرصاً علينا فلم نرتب ولا نهم » وصحح على نسخ البردة المطبوعة

فانما اتصلتْ من نوره بهمُ

لا غروَ ان ظهرتْ منهم غرائبُها بسرّه وأرتْ حقاً عجائبُهـا
وأشرقتْ بسنًا منـــه ثواقبُها فانـه شمس فضلٍ هم كواكبُها
يظهرنَ أنوارَها للناس في الظلم

ضياؤه في دجى الظلماء يأتلق كأنما شق من أزراره الفلق
وكفُّـه بالندى والجود تندفقُ اكرمْ بخلق نبيٍ زانه خُلقُ
بالحسن مشتملٍ بالبشر متسمِ

هو النبي الذي قد خصَّ بالزُلفِ سَلْ عن[1] محاسنه من شئت يعترفِ
بأنـها خير أوصــافٍ لمتصفِ كالزهر في ترفٍ[2] والبدرِ في شرفِ
والبحرِ في كرمٍ والدهرِ في هممِ

انظر الى عزمه في بــدءِ حالتهِ لمـا غــدا مُظهراً دعوى رسالتهِ
وراح فرداً يحـامي عن بسالته كأنه وهو فردٌ من جلالته
في عسكرٍ حين تلقاه وفي حَشمِ

إذا تـكلم أهدى البرءَ للدَنفِ وإن تبسَّم أبدى النور في السدَفِ
فياله بدر حسنٍ جلَّ عن كَلَفِ كأنما اللؤلؤ المكنون في صدفِ
من معدنيْ منطقٍ منه ومبتسمِ

الله قرّبه زلفى واكرمـــهُ حيـاً وميتـاً وأسمـاه وعظَّمهُ
لا والذي شاد مثواه وحرَّمهُ لا طيبَ يعدل ترباً ضمَّ أعظمهُ

---

(١) في الاصل : من
(٢) » » : طرف ، وصححت على البردة المطبوعة

طوبى لمنتشق منه وملتثم[1]

ما زال في كل عصرٍ قبل مظهرهِ   يبدو له خبرٌ ينبي بمفخرهِ
حتى إذا شرَّف الدنيا بمخبرهِ   أبان مولده عن طيب عنصرهِ

يا طيب مبتدءٍ منه ومختتمِ

آياته حققت للخلق ظنَّهمُ   وأشعرت إنسهم حقاً وجنهمُ
وانجاب عنهم ظلام قد أجنَّهمُ   يوم تفرَّس[2] فيه الفرس انَّهمُ

قد انذروا بحلول البؤس والنقمِ

فيا له مولداً ماتت له البِدَعُ   به تشرفت ا[لأ]عياد والجُمَعُ
وراح شمل المعالي وهو مجتمعٌ   وبات ايوان كسرى وهو منصدعُ

كشمل أصحاب كسرى غير ملتئمِ

وذلَّ ماقد هوى من شامخ الشُرَفِ   على هويِّهم من شامخ الشَرَفِ
فأصبح البال منهم جدَّ منكسفِ   والنار خامدة الأنفاس من أسفِ

عليه والنهر[3] ساهي العين من سَدَمِ

أما المجوس فقد باخت نُوَيْرَتُها   وبلبلت منهم الألباب حيرتُها
وروضة الكفر قد جفَّت خُضَيرَتُها   وساء ساوة أن غاضت بحيرتها

ورد واردها بالغيظ حين ظمي

فالنار لم تُرَ والأمواه لم تسلِ   فانظر بمعجز خير الخلق والرسلِ
الى تبدل كيفياتها الأولِ   كأن بالنار ما بالماء من بللِ

حزناً وبالماء ما بالنار من ضرمِ

---

(١) وقع اشتباه في ترتيب أبيات البردة في هـذا الموضع وفي البيتين التاليين له ، وقد صححناها على البردة المطبوعة

(٢) في المخطوط : تفرق ، وصححناها على المطبوع .

(٣) » » : والدهر ، » » »

شمس النبوة وافت وهي طالعةٌ من أفقها ونجـوم الحقّ لامعةٌ
وحجة الدين والاسلام قاطعةٌ والجن تهتف والأنوار ساطعةٌ
والحق يظهر من معنىً ومن كلِمِ

كم آيةٍ بشرت عنه الورى بنِعَمْ وآية أنذرت أعداءه بنِقَمْ
لكنهم حيث كانوا في عمىً وصممْ عموا وصموا فاعلان البشائر لمْ
تسمعْ وبارقة الانذار لم تشمِ

لقد تحمَّل ما لم يقوَ واهنُهمْ له وأغلقهم في الكفر راهنُهمْ
فكيف يصدق في قول مداهنُهمْ من بعد ما أخبر الأقوام كاهنُهمْ
بأن دينهم المعوجَّ لم يقمِ

هم الغواة رضوا بالافك والكَذِبِ لم يبقَ فيهم لداعي الحق من إرَبِ
من بعدما جحدوا مانصَّ في الكتبِ وبعد ما عاينوا في الأفق من شهبِ
منقضةٍ وفق ما في الأرض من صنمِ

أما رأوها عياناً وهي تحتدمُ كأنها[1] شعلٌ في الجو تضطرم
تهوي على كل شيطان فينعدم حتى غدا عن طريق الوحي منهزم
من الشياطين يقفو إثر منهزم

فأصبحوا بعد دعوى كل ترَّهةٍ مشرّدين بألبابٍ مدلّهة[2]
لا يهتدون الى قصد ولا جهة كأنهم ـ هرباً ـ أبطال أبرهة
أو عسكر بالحصى من راحتيه[3] رُمي

فيا له من حصىً لم يحصَ ما غنما من السعادة لما راح مستلما

---

(١) في المخطوط : كأنما ، وصححناها على المطبوع
(٢) » » : مدغمة » » »
(٣) » » : راحته » » »

لراحتيْ من به تلك الجيوش رمى نبذاً به بعـد تسبيحٍ ببطنهما
نبذ المسبـّح من أحشاء ملتقمِ
أنظر لآياته بـدء وعائدةً لمّا اقتضته نفوس زُحنَ جاحدةً (١)
لحقه آيـة بالحق شاهـدة جاءت لدعوته الأشجار ساجدة
تمشي اليـه على ساق بلا قدم
لمـا دعاها أجابته وما كذبتْ ان أقبلت طاعة للأمر واقتربتْ
ولم تمل حين وافته ولا اضطربت كأنما سطرت سطراً لما كتبت
فروعها من بديع الخط باللقم(٢)
أنـوار آياته للخلق ظاهرةٌ لها البصائر والأبصـار ناظرة
كما يحب - باذن الله - صادرة مثل الغمامة أنى سار سائرةٌ
تقيه حرَّ وطيس للهجير حمي
برهان حق به الرحمن أرسلهُ فـدع مقالة من في ذهنه بَلهُ
فالأمر أعظم ممـا قد تأوّله أقسمت بالقمر المنشق ان لَهُ
من قلبه نسبةً مبرورة القسم
وما له شقَّ ذاك القلب من حكم فلم يجد ألمًا حاشاه من ألم
كأنه البـدر لما شقَّ في الظلم وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الـكفار عنه عمي
أحلَّـه الله منـه في أعز حِمى وصانه حافظاً من كيدهم وحمى
فأصبحت منهم الابصار وهي(٣) عمى فالصدق في الغار والصديق لم يرِ ما
وهم يقولون ما بالغار من أرم

(١) في المخطوط : جامدة
(٢) « « : في اللقم ، وصححناها على المطبوع
(٣) « « : وهن

قالوا ـ وقد أبصروا بيض الحمام على فم المغار ونسج العنكبوت علا ـ :
تالله ما دخلا فيه وما نزلا ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم

فيا لنفسٍ من الصديق خائفةٍ من شر طائفة بالغار طائفة
من < بحمه > الله لم يعبأ بكاشفةٍ وقاية الله أغنت عن مضاعفةٍ
من الدروع وعن عالٍ من الأطم

من أمَّ ساحته يظفرْ بمطلبه فاسمع مقالي ودعْ دعوى مكذبه
لا يؤخذ الشيء إلا من مجرّبه ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به
إلا ونلت جواراً منه لم يضم

ولا رجوت لقلبي نيل مقصدِهِ من فضله بعد يأسٍ من ترصده
إلا وفاز به من قبل موعده ولا التمست غنى الدارْينِ من يده
الا استلمت الندى من غير مستلمِ

أوحى اليه الذي بالحق أرسلهُ في كل حالٍ وللتبليغ أهّلهُ
فضل لمنكر حقٍ قد تأوَّله لا تنكر الوحي من رؤياه إنّ له
قلباً إذا نامت العينان لم ينم

نال العناية طفلاً في صبوَّتهِ ولم يزل يترقى في فتوتهِ
حتى رأى الحق رؤيا قبل دعوته وذاك(١) حين بلوغ من نبوته
فليس يُنْكَرُ فيه حال محتلم

لا تعجبنَّ فما للحق من عجبٍ ولا تُمَلِّكَ دواعي الشك والريبِ
ماأوضح الفرق بين الصدق والكذب تبارك الله ما وحي بمكتسب
ولا نبيّ على غيبٍ بمتهم

(١) في المخطوط : فذاك ، وصححناها على المطبوع

هو الذى قبلة الآمال ساحتُهُ ما واصلت متعباً لولاه راحتهُ
ولا انقضت حاجة لولا سماحته كم أبرأت وصباً باللمس راحته
وأطلقت اربا من ربقة اللمم

هو الحسام الذي لم تخش نَبْوَتُهُ راعت أسود الشرى بالباس سطوتهُ
وكم أمانت عيٍّ الفقر حبوته وأحيت السنة الشهباء دعوته
حتى حكت غرة في الأعصر الدهم

لما شكى الخلق ضراً من نوائبها دعا الغيوث فوافت في سحائبها
وجادت الأرض من وسمي صائبها بعارض جاد أو خلت البطاح بها
سيبٌ من اليم أو سيل من العرم

الله أكبر كم من آية بهرتْ منه العقول والحساد قد قهرتْ
يا كاتماً لمعاليه التي اشتهرتْ دعني ووصفي آيات له ظهرتْ
ظهور نا [ر] القرى ليلاً على علم

أوصافها درٌّ مضمونها حِكَمُ لا ينقصنَّ على حالٍ لها قيمُ
لكنَّ نظمي لها يزهو به الكلم فالدر يزداد حسناً وهو منتظم
وليس ينقص قدراً غير منتظمِ

هيهات أن ينتهي قول وإن كملا أو قائل راح بالأمداح محتفلا
لعشر معشار نعت فيه قد حملا فما تطاوَلُ آمال المديح الى
ما فيه من كرم الأخلاق والشيم

أتى بمعجز ذكر فيه تذكرةٌ للمهتدين وأحكام مبيَّنة
< تزينها >[1] رفعة ما شانها ضمة آيات حق من الرحمن محدثة
قديمة صفة الموصوف بالقدمِ

(١) في الأصل : يريها

راحت تبشرنا طوراً وتنذرنا وباتباع سبيل الحــــق تأمرنا
فيالهـــا كلمـاً بالغيب تشعرنا لم تقترنْ بزمانٍ وهي تخبرنا
عن المعـــاد وعن عادٍ وعن إرم

أكرمْ وأعظمْ بآياتٍ مبرزةٍ عند السباق وللغـايات محرزةٍ
ألفاظهن ّ كأعـــلام مطرزة دامت لدينا ففاقت كلَّ معجزة
من النبيين اذ جاءت ولم تدمِ

لاغرو إن يقيت فينا بلا شَبَهِ بقـاءَ ملته العليـــا ومذهبه
فانظر اليهـا تحطْ خبراً بهـا وبه محكَّماتٌ فمـــا يبقين من شُبه
لذي شقاقٍ وما[1] يبغين من حكمِ

لا تعرضنَّ لها بالشك والريبِ فمـــا يفيـدك غير العجز والتعب
فانهـــا باتفاق العجم والعرب ما حوربت قط إلا عاد من حرب
أعدى الأعادي اليها ملقيَ السَلَمِ

وارفض إذا رمت هدياً نهج رافضها واحـــذر مقالة إفك من مناقضها
فانها لجـــة أودت بخائضهــا ردت بلاغتهـا دعوى معارضهـا
ردَّ الغيور يدَ الجاني عن الحرم

لئن حوت في مداهـــا غاية الأمدِ فانهـــا نزلت من واحد أحدِ
فيالهـــا كلمات جئن بالرشد لها معانٍ كموج البحر في مدد
وفوق جوهره في الحسن والقيم

كم أغنت الخلق فى الدنيا مواهبُها وسوف تغنيه في الأخرى رغائبُها
نافت على الحصر تعداداً غرائبُها فما تعـد ولا تحصى عجائبهـا
ولا تسام على الاكثار بالسأم

(١) في المخطوط : ولا يبغين ، وقد صححناها على المطبوع

انظر مفصل معناها ومجمله تجده أكمل مضمون وأجمله
فيا لآيٍ حبت كلاً مؤمله قرت بها عين قاريها فقلت له :
لقد ظفرتَ بحبل الله فاعتصم

وكن لها أبداً ما عشت محتفظاً وعظْ بها واتعظ إن كنت متعظا
وقل لمن قلبه من جوفه بُهظا : إن تتلها خيفة من حر نار لظى
أطفأت حر لظى من وردها الشبم

والزمْ هداها الذى قد جلَّ عن شبهِ فكم هدت لسبيلٍ غير مشتبه
وأطلقت حائراً من ربقة الشبه كأنها الحوض تبيضُّ الوجوه به
من العصاة وقد جاؤه كالحمم

هي التي أصبحت بالحق منزلةً وأوضحت شبهاً في الخلق معضلةً
كأنها الشمس في الآفاق منزلة وكالصراط وكالميزان معدلة
فالقسط من غيرها[1] في الناس لم يَقُمِ

انوارها لاح[2] للابصار مسفرُها حتى لقد كادت العميان تبصرها
ولذَّ للسمع مملواً مكرَّرها لا تعجبنْ لحسود راح ينكرها
تجاهلاً وهو عين الحاذق الفهم

ان الحسود يرى من شدة الحسد نورَ الهدى ظلمةً والصدق كالفندِ
فلا عجيب اذا ما ضلَّ عن رشد قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

هذا النبي الذي نالت سماحته كلُّ البرايا و [ما] مالت رجاحته[3]

---

(١) في المخطوط : غيرما ، وقد صححناها على المطبوع
(٢) » » : راح
(٣) كذا في الأصل ، وربما يرد فعل « مال » متعدياً كقولك : مال فلان الشيء اذا صيره مائلا ، ولعله هو المقصود .

فقل ونادِ اذا استمطرت راحته   يا خير من يمّم العافون ساحته
سعياً وفوق متون الاينق الرسم

يا صفوة الله والمختار من مضرِ   ومن له الرتبة العليا مدى الدهر
ومن له الحسن والحسنى من البشر   ومن هو الآية الكبرى لمعتبر
ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

الله اكبر ما أوتيت من عِظَمِ   وما <وهبت>[1] من العلياء والكرمِ
كم همة لك قد ناقت على الهمم   سريت من حرم ليلاً الى حرم
كما سرى البدر في داجٍ من الظلم

فيا لها ليلة بالسعد مقبلةً   بنورها لضياء الصبح مخجلةً
أمست عليك بها الأملاك مُنزلةً   وبت ترقى الى أن نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

أعظم بها رتبة وافتك منقبها   لو رامها آخر في نومه حُجبها
قد خصك الله إكراماً بمنصبها   وقدمتك جميع الانبياء بها
والرسل تقديم مخدوم على خدم

فكنت قائدهم في جمع[2] موكبهمْ   وهم حواليك صف في ترتبهمْ
مؤملين مزيدا من تقربهم   وأنت تخترق السبع الطباق بهم
في موكب كنت فيه صاحب العلم

رقيت مرقىً أغار النجم في الأفقِ   على براق كلمع البرق مؤتلقِ
ولم تزل فائزاً بالسبق والسبقِ   حتى إذا لم تدع شأواً لمستبق
من الدنو ولا مرقىً لمستنم

(١) في الأصل : وما وحيت
(٢) في المخطوط : جميع

نهضت فرداً بتبليغ عليك أُخذْ   وكل شرع سوى الوحي اليك نُبذْ
ومذ حبيت علاً عنها سواك <حنذ>(١)   خفضت كل مقـام بالاضافة إذ
نوديت بالرفع مثل المفرد العلمِ

وخصّك الله بالمعراج عن قدرٍ   لمّا اصطفاك على علم من البشرِ
من قبل أن تنفخ الارواح في الصور   كيما تفوز بوصـل أي مستتر
من العيون وسرٍ أي مكتتم

ما زلت تسمو ومن ناواك في دركٍ   وترتقي درجاً نافت على الفلكِ
حتى ظفرت بحق غير مؤتفك   فحزت كل فخـارٍ غير مشترك
وجزت كل مقام غير مزدحم

هيهات أن يحتوي ما نلت من حسبِ   نظمٌ من الشعر أو نثر من الخطب
فقد سموت سمواً غير مكتسب   وجل مقدار ما وُليت من رتب
وعزّ إدراك ما أُوليت من نعمِ

بك اليمن للايمان أهّلنا   ومن نمير الهـدى والحق أنهلنا
وفي المعاد جنان الخلد أنزلنا   بشرى لنا ـ معشر الاسلام ـ إن لنا
من العناية ركناً غير منهـدم

أكرم بخير مطاع في جماعتهِ   لا يبلغ الدهر طراً(٢) فضلَ ساعتهِ
ونحن خير البرايا من إطاعته   لمـا دعا الله داعينـا لطاعته
أكرم الرسل كنّا أكرم الامم

(١) في المخطوط : جند : ولم نعثر على كلمة تناسب الموضوع سوى « حنذ » . يقال : حنذ الفرس اذا أجراه ليعرق ، ولعلها كناية عن فشل غير النبي (ص) في ادراك مثل علاه .

(٢) في المخطوط : طواً

كم آمن الله من روع بملته وكم أغاث أخا بؤسٍ بنعمته
لكنما حذراً من بأس نقمته راعت قلوب العدى انباء بعثته
كنبأة أجفلت غفلاً من الغنم

وعند ما وقعوا في كفّة الشركِ من شركهم وهووا في هوّة الدركِ
وأصبحوا بين مأفوك ومؤتفكِ مازال يلقاهم في كل معترك
حتى حكوا بالقنا لحماً على وضم

رماهم بخميس صدر موكبهِ ليثٌ بذابله يسطو ومقضبهِ
حتى إذا نشبوا طراً بمخلبه(١) ودوا الفرار فكادوا يغبطون به
أشلاء شالت مع العقبان والرخم

وانكرت منهم الابطال نجدتها إذ أنزلت بهم الهيجاء شدتها
فهم لكثرة ما يصلون وقدتها تمضي الليالي ولا يدرون عدتها
ما لم تكن من ليالي الاشهر الحرم

أباح بالغارة الشعواء باحتهمْ لما عصوا وأبوا إلا وقاحتهم
وأوجب الدين في الدنيا إباحتهمْ كأنما الدين ضيف حلَّ ساحتهم
بكل قرم الى لحم العدى قرِمِ

إذ حاولوا بعقول غير راجحةٍ إطفاءَ أنوار حق منه لائحةٍ
وافاهم في بهاليل مكافحةٍ يجرُّ بحر خميس فوق سابحةٍ
ترمي بموج من الابطال ملتطم

ابطال حرب يرون الضرب كالضَرَبِ ويطربون لوقع السمر(٢) والقضبِ

(١) في المخطوط : بمحبله
(٢) « « : السمو ـ بالتشديد ـ

وما لهم غير نصر الدين من إرب   من كل منتدبٍ لله محتسب
يسطو بمستأصل للكفر مصطلم
قد أوطنوا (١) الحق داراً في تغربهم   وحصّنوا بالعوالي ثغر مذهبهم
ولم يبالوا بحزبٍ في تحزّبهم   حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم
من بعد غربتها موصولة الرحم
صانوا حماها بأطراف القنا السلب   عن كل مغتصبٍ منها ومستلبِ
فأصبحت بهم موصولة السبب   مكفولة أبداً منهم بخير أب
وخير بعل فلم تيتم ولم تئم
قد أصبح الدين في الدنيا [منا] دمهم   والنصر في حومة الهيجاء خادمهم
لا يرهبون من الأعداء قادمهم   هم الجبال فسل عنهم مصادمهم
ماذا رأى منهم في كل مصطدم
كم موقف لهم فلَّ العدى كمدا   سل عنه شاهده يخبرْك ما شهدا
وإن شككت ولم تسألْ به أحدا   وسل حنيناً وسل بدراً وسل أُحدا (٢)
فصول حتف لهم أدهى من الوخم
واستنبىء السمر عنهم عندما اطردت   تنبئك انهم الصيد الأولى طُرِدت
بهم بغاةً على الطغيان قد مردت   المصدري البيض حمراً بعدما وردت
من العدى كلُّ مسودٍ من اللمم
لله درّهم من فتية عركت   عرك الاديم خطوب الدهر إذ فتكت
المعربين من الاحكام ما التبكت (٣)   والكاتبين بسمر الخط ماتركت

(١) في المخطوط : أوطنوا
(٢) حنين وبدر وأحد : غزوات للنبي(ص) مشهورة مذكورة في سائر كتب السير والتاريخ .
(٣) في المخطوط : ما التكبت

أقلامهم حرفَ جسمٍ غير منعجم

أقطاب فضل مدار المجد مركزُهمْ   من تلقَ منهم تقلْ : هذا مبرَّزُهمْ
تراهم في الوغى والله يحرزهم   شاكي السلاح لهم سيما تميزهم

والورد يمتاز بالسيما من السلم

قد طيَّب الجود والاحسان ذكرهمُ   لا يمتري الغيث من يمتار برَّهمُ
ولا تزال إذا شممت زهرهمُ   تهدي اليك رياح النصر نشرهم

فتحسب الزهر في الاكمام كل كمي

قوم يهزهم وقع القنـــا طربا   على الخيول كما هزَّ النباتَ صبا
ولن ترى منهمُ في الحرب مضطربا   كأنهم في ظهور الخيل نبتُ ربا

من شدة الحزم لا من شدة الحزُم

لهم خلائق جلاّ نورها الغسقا   حتى تظنَّ جميلاً منهم ملقا
فان كسوا للوغى أعطافهم حلقا(١)   طارت قلوب العدى من بأسهم فرقا

فما تفرق بين البَهْم والبُهَم

هم حزب خير الورى حقًا وأسرتُهُ   قد شاد أمرهم في الخلق إمرتُهُ
وأظهرتهم على الاعـــداء نظرته   ومن تكن برسول الله نصرته

إن تلقه الاسد في آجامها تجم

حازوا (٢) به النصر محتوماً على قدرِ   وكيف لا وهو من قد خص بالظفرِ
على أعاديه من بدوٍ ومن حضرٍ   ولن ترى من وليّ غير منتصر

به ولا من عدوٍ غير منقصم

---

(١) في المخطوط : خلقا
(٢) » » : حذوا

أبان صدق هداه عن أدلته وأوسع الحق ريّاً بعد غلته
وحين دلّ الورى جهراً لقبلته أحلّ أمته في حرز ملته
كالليث حلّ مع الاشبال في أجم

صدّقْ به تزكُ[1] في علم وفي عمل ولا تخاصمْه تخصم واخشَ من زلل
وإن تكن عارياً من علمه فسل كم جدّلت كلمات الله من جدل
فيه وكم خصم البرهان من خصم

هو الذي أصبحت للحق محرزةً علومه وغدت للدين مبرزةً
ولم تكن لصريح الحق ملغزة[2] كفاك بالعلم في الاميّ معجزة
في الجاهلية والتأديب في اليتم

لقد سعدتُ بميلادي بيثربه[3] وفزت في طيبة منه بأطيبه
وإذ نأى بيَ دهري في تقلبه خدمته بمديحٍ أستقيل به
ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم

فالشعر أعذبه في الناس كاذبُه وخدمة الخلق أمر ضلّ طالبُه
كلاهما قد أهمتني مصائبه إذ قلداني ما تخشى عواقبه
كأنني بهما هديٌ من النعم

أنا الذي رحت للذات مغتنما ولم أزل لعظيم الذنب مجترما
فها أنا اليوم حالي حل من ندما اطعت غيَّ الصبا في الحالتين وما
حصلت إلا على الآثام[4] والندم

نفسي تظن - بجهلٍ - في خسارتها ربحاً وترغب في الدنيا وشارتها

(١) في المخطوط : ترك
(٢) » » : ملغزة ، واعزه : دفعه ولكزه
(٣) » » : ويثربه
(٤) » » : الأوثام ، وصححناها على البردة المطبوعة

وما درت أنها تشقى بعمارتها فيا خسارة نفسٍ في تجارتها
لم تَشترِ الدين بالدنيا ولم تسمِ

هذي[١] تجارة مغترٍّ بباطله لكنْ من باع دنياه بآجله
يظفرْ من الربح في الأخرى بطائله ومن يبعْ آجلاً منه بعاجله
يبِنْ له الغبن في بيع وفي سلم

أضعت عمري ومالي عنه من عوضِ في كسب إثمٍ وفي تضييع مفترَضِ
لكنَّني ـ ورجائي صائب الغرض ـ إن آت ذنباً فما عهدي بمنتقض
من النبي ولا حبلي بمنصرم

يأبى انتسابي الى علياه تخليتي وقد علمت يقيناً ان معصيتي
اذا التجأت اليه غير مقصيتي فان لي ذمة منه بتسميتي
محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

والله ما عملي بالمرتجى لغدي كلاّ ولا والدي مغنٍ ولا ولدي
مالي سوى فضله المأمول من سند إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي
فضلاً وإلا فقلْ يا زلة القدم

يا نفس ويحك لا تنسيْ مراحمَهُ فمن رجاه فقد عفّى جرائمَهُ
ونال[٢] في الدين والدنيا غنائمه حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه
أو يرجعَ الجارَ منه غير محترم

الله اكبر عمَّ الخير مادحَهُ أنا الذي منذ أولاني منائحهُ[٣]
لم أخشَ من ريب دهري قطّ فادحه ومنذ الزمت أفكاري مدائحه

---

(١) في المخطوط : هذه
(٢) » » : ومال
(٣) » » : مدائحه

وجدته لخلاصي خير ملتزم

وكم له من يد فاضت وما نضبت واهتزت الأرض من احسانها وربت
وليس تحرم نفس منه ما طلبت وان يموت الغنى منه يداً تربت
انّ الحيا ينبت الازهار في الأكم

أما وقد عذبت في وصفه وصفت مني المدائح في الاشعار إذ وصفت
وبالثناء على علياته عكفت ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت
يدا زهير بما اثنى على هرم

قد أصبح القلب مني في تقلّبه اذا تذكر يوماً [قدر] مكسبه
يخشى العذاب ويرجو نجح مطلبه يا أكرم الخلق مالي مَنْ ألوذُ به
سواك عند حلول الحادث العمم

إن ضقتُ ذرعاً بما القاه من نصبِ فأنت أكرم من أرجوه للنوبِ
فكم بجاهك نجّى الله من كُرب وان يضيق ـ رسول الله ـ جاهك بي
اذا الكريم تحلى باسم منتقم

نالت بجودك في الدنيا مسرّتها نفسي وحازتْ من الآمال غرّتها
وسوف تأمن في الاخرى مضرتها فانّ من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

أمواج أبحر آثامي قد التطمتْ لكن عرى[1] أملي في الله ما انفصمتْ
فقل لنفسٍ[2] من الزلّات قد تخمت: يا نفس لا تقنطي من زلّة عظمت
إن الكبائر في الغفران كاللمم

فان رحمة ربي ليس يعظمها ذنبٌ تعاظم من نفسٍ ومأثمها

(١) في الأصل المخطوط : غرا
(٢) » » » : لنفسي

فلا تهولنَّك الاخرى ومقدمُها لعلَّ رحمة ربي حين يقسمُها
تأتي على حسب العصيان في القسم

والله ما نهجُ آمالي بملتبسِ في الله يوماً ولا ظني بمنتكسِ
عن الرجاء لمأمولي وملتمسي يارب فاجعل رجائي غير منعكس
لديك واجعل حسابي غير منخرم

وأعطِ سائلك الراجي مؤمّلَهُ ولا تخيبْهُ فيما كان أمّلَهُ
وحُطّ عن ظهره ما قد تحمله والطفْ بعبدك في الدارين ان له
صبراً متى تدعُه الاهوال ينهزم

وارفق بنفسٍ له تخشاك هائمةٍ وأولِه منك ـ فضلاً ـ حسن خاتمةٍ
من العذاب له في الحشر عاصمةٍ وأْذنْ لسحب صلاة منك دائمةٍ
على النبي بمنهلٍ ومنسجم

خير النبيين من فضّلتَ مجملهُمْ به وصيّرتَه بالحق أكملهم
تحية منك مدراراً لتشملهم والآل والصحب ثم التابعين لهم
أهل التقى والنقى والحلم والكرم

واجعلْ صلاتك يغشاهم بما وجبا لهم من الفضل وارفع منهم الرتبا
واهل دينك والابدال والنجبا ما رنحت عذبات البان ريح صبا
وأطرب العيسَ حادي العيس بالنغم[1]

* * *

(١) بقيت عدة أبيات في آخر البردة من دون تخميس فليكن القارئ الكريم على علم بذلك .

مسألة في البداء

للشيخ محمد الجواد البلاغي

١٢٨٥-١٣٥٢ هـ

الشيخ الجواد البلاغي

موضوع البداء من المواضيع الشائكة التي كثر فيها الأخذ والرد بين الفرق الاسلامية بكل صخب وشدة ، فقد ذهبت الشيعة الامامية الى القول به وبنسبته الى الله تعالى ، وخفّت الفرق الاسلامية الأخرى الى تفنيد هذا الرأي وإبطاله ، لما يستلزم ـ بحسب دعواهم ـ من نسبة الجهل الى الله . تلك النسبة التي تساوق الشرك والكفر في الشريعة الاسلامية .

والذي يظهر بعد دراسة الموضوع والتأمل في أقوال الفريقين ان النزاع كله مسبب من جهل بعضهم بآراء بعض ، ومن التسرع وعدم التدقيق في أصل البحث ولبه للوصول الى النتيجة الواقعية فيه .

يقول شيخ الامامية محمد بن محمد المفيد :

« أقول في معنى البداء ما يقوله المسلمون بأجمعهم في النسخ وأمثاله ، من الافقار بعد الاغناء ، والامراض بعد الاعفاء ، والاماتة بعد الاحياء ، وما يذهب اليه أهل العدل خاصةً من الزيادة في الآجال والأرزاق ، والنقصان منها بالأعمال ، فأما إطلاق لفظ البداء فانما صرتُ اليه بالسمع الوارد عن الوسائط

بين العباد وبين الله عزوجل ، ولو لم يرد به سمع أعلم صحته ما استجزت إطلاقه، كما انه لو لم يرد عليّ سمع بأن الله تعالى يغضب ويرضى ويحب ويعجب لما أطلقت ذلك عليه سبحانه ، ولـكنه لما جاء السمع به صرت اليه على المعاني التى لا تأباها العقول ، وليس بيني وبين كافة المسلمين في هذا الباب خلاف ، وانما خالف من خالفهم في اللفظ دون ما سواه ، وقد أوضحت من علتي في إطلاقه بما يقصر معه الكلام ، وهذا مذهب الامامية بأسرها ، وكل من فارقها في المذهب ينكره على ما وصفت من الاسم دون المعنى[(١)] » .

وقال الشيخ المفيد أيضاً :

« قول الامامية في البداء طريقه السمع دون العقل ، وقد جاءت الأخبار به عن أئمة الهدى عليهم السلام ، والأصل في البداء هو الظهور . قال الله تعالى : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ يعني به : ظهر لهم من أفعال الله تعالى بهم ما لم يكن في حسبانهم وتقديرهم ، وقال : ﴿ وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ﴾ يعني : ظهر لهم جزاء كسبهم وبان لهم ذلك ، وتقول العرب : « قد بدا لفلانٍ عمل حسن وبدا له كلام فصيح » ، كما يقولون : « بدا من فلان كذا » فيجعلون اللام قائمة مقامه ، فالمعنى في قول الامامية : « بدا لله في كذا » أي ظهر له فيه ، ومعنى ظهر فيه أي ظهر منه ، وليس المراد منه تعقب الرأي ووضوح أمرٍ كان قد خفي عنه ، وجميع أفعاله تعالى الظاهرة في خلقه بعد أن لم تكن فهي معلومة فيما لم يزل ، وانما يوصف منها بالبداء ما لم يكن في الاحتساب ظهوره ولا في غالب الظن وقوعه ، فأما ما علم كونه وغلب في الظن حصوله فلا يستعمل فيه لفظ البداء ، وقول أبي عبدالله عليه السلام : « ما بدا لله فى شيء كما بدا له في اسماعيل » فانما أراد به ماظهر من الله تعالى فيه من دفاع القتل عنه

(١) أوائل المقالات في المذاهب المختارات : ٥٣ ـ ٥٤ طبع ايران « الطبعة الثانية »

وقد كان مخوفاً عليه من ذلك مظنوناً به فالطف له في دفعه عنه ، وقد جاء الخبر بذلك عن الصادق عليه السلام، فروي عنه (ع) انه قال: «كان القتل قد كتب على اسماعيل مرتين فسألت الله في دفعه عنه فدفعه»، وقد يكون الشيء مكتوباً بشرط فيتغير الحال فيه . قال الله تعالى : ﴿ ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ﴾ فتبين ان الآجال على ضربين : ضرب منها مشترط يصح فيه الزيادة والنقصان . ألا ترى الى قوله تعالى : ﴿ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ فبين أن آجالهم كانت مشترطة في الامتداد بالبر والانقطاع بالفسوق ، وقال تعالى فيما خبر به عن نوح (ع) في خطابه لقومه : ﴿ استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدرارا ـ الى آخر الآيات ـ ﴾ فاشترط لهم في مدّ الأجل وسبوغ النعم الاستغفار ، فلما لم يفعلوه قطع آجالهم وبتر أعمارهم واستأصلهم بالعذاب ، فالبداء من الله تعالى يختص ما كان مشترطاً في التقدير ، وليس هو الانتقال من عزيمة الى عزيمة ولا من تعقب الرأي . تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كبيرا[1] » .

وذكر السيد الشريف المرتضى ـ في جواب مسائل أهل الري ـ ان المراد بالبداء هو النسخ ، وذهب الى انه ليس بخارج عن المعنى اللغوي للنسخ[2] .

وقال السيد الفيلسوف الداماد :

« البداء منزلته في التكوين منزلة النسخ في التشريع، فما في الامر التشريعي والاحكام التكليفية نسخ فهو في الامر التكويني والمكونات الزمانية بداء ،

(١) شرح عقائد الصدوق : ٢٤ ـ ٢٥ ط ايران « الطبعة الثانية »
(٢) بحار الأنوار : ٢ / ١٤١

فالنسخ كأنه بداء تشريعي ، والبداء كأنه نسخ تكويني ، ولا بداء في القضاء ولا بالنسبة الى جناب القدس الحق والمفارقات المحضة من ملائكته القدسية وفي متن الدهر الذي هو ظرف مطلق الحصـــول القارّ والثبات البات ووعاء عالم الوجود كله ، وانما البداء في القدر وفي امتداد الزمان الذي هو أفق التقضي والتجدد وظرف التدريج والتعاقب وبالنسبة الى الكاينات الزمانية ومن في عالم الزمان والمكان واقليم المادة والطبيعة،وكما حقيقة النسخ ـ عند التحقيق ـ انتهاء الحكم التشريعي وانقطاع استمراره لا رفعه وارتفاعه من وعاء الواقع ، فكذا حقيقة البداء عند الفحص البالغ انبتات استمرار الأمر التكويني وانتهاء اتصال الافاضة[1]» .

ونتيجة لكل ما مر نرى ان النزاع ـ في هذا الموضوع ـ لفظي محض لا علاقة له بواقع أو معنى ، ولكنه أخذ من الشدة والحدة والاحتدام ماصوّره في أنظار الكثيرين نزاعاً حقيقياً يرتبط به مصير ملايين من المسلمين ممن يقولون به ، ويذهبون الى جوازه على الله عزوجل .

وبتأثير الالتباس الحاصل من عدم فهم هذه المشكلة ذهب الفخر الرازى والبلخي في تفسيريهما الى مناقشة الامامية في رأيهم هذا ، وهبّ أعلام التشيع منذ العصور الاسلامية الأولى والى اليوم للدفاع والرد على تلك المناقشات[2] .

ولعلّ هذه الرسالة التي نقدمها اليوم من أفضل الرسائل التى أُلفت في هذا الموضوع ، لأنها كتبت بأسلوب واضح جلي ، وبنيت على استدلال جميل ظاهر ، ولم تشحن بالاصطلاحات العلمية والتعبيرات الغامضة التي لا يفهمها الكثيرون .

* * *

(١) بحار الأنوار : ٢ / ١٤١

(٢) راجع في قائمة مؤلفات الشيعة في البداء كتاب الذريعة : ٣ / ٥٣ ـ ٥٧

أما مؤلفها فهو علم من أعلام الدين ، وشيخ من شيوخ الشريعة الأفذاذ ، قضى سني حياته المباركة في العلم والجهاد والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، من دون فخفخة أو جلبة أو ضوضاء أو حب الظهور . بل ربما كانت بعض كتبه تخرج وليس عليها اسمه تواضعاً منه وزهداً وورعاً .

انه الشيخ محمد الجواد بن الشيخ حسن البلاغي النجفي ، المولود عام (١٢٨٥) في النجف الاشرف ، والمنحدر من سلسلة علمية ترث الفضل والمجد كابراً عن كابر .

حضر في النجف الاشرف دروس علمائه الاعلام ، ثم هاجر الى سامراء لحضور بحث الامام الشيخ محمد تقي الشيرازي ، ونظم الشعر فأجاد فيه ، وله من شعره مجموعة رائعة جداً .

ألف وصنف فأبدع في ذلك وحلق[1] ، ولم يقتحم موضوعاً من المواضيع إلا وتجده فارس ميدانه ، وبطل حلبته ، ودعاه الله الى جواره في ليلة الاثنين (٢٢) شعبان (١٣٥٢ هـ) فلبّاه مسرعاً طيعاً ، تاركاً وراءه - من كتبه ومؤلفاته - ذكراً خالداً وعمراً باقياً ، وحياة أخرى لا تفنى ولا تزول .

ومن أشهر مؤلفاته المطبوعة هذه الكتب :

١ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن « مجلدان »

٢ - التوحيد والتثليث

---

(١) راجع في مؤلفاته : الكنى والالقاب : ٢ / ٨٤ ، وآلاء الرحمن : ١ / ٣٨٤ ، وأعيان الشيعة : ١٧ / ٦٩ - ٧١

٣ ـ الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة « ثلاثة أجزاء »

٤ ـ مختصر في وضوء الامامية وصلاتهم وصومهم « بالانكليزية »

٥ ـ الهدى الى دين المصطفى

٦ ـ أنوار الهدى « في الالهيات »

٧ ـ البلاغ المبين « » « »

٨ ـ الرد على الدهرية

٩ ـ نصائح الهدى « في الرد على البهائية »

١٠ ـ المصابيح

١١ ـ أعاجيب الأكاذيب

١٢ ـ أجوبة الاسئلة البغدادية

١٣ ـ حاشية على مباحث البيع من مكاسب آية الله الانصاري « فقه »

١٤ ـ رسالة في العلم الاجمالي « فقه »

١٥ ـ رسالة البداء « وهي هذه الرسالة »

والنسخة التي طبعت عليها هذه الرسالة محفوظة في مكتبتي الخاصة ، وهي منقولة ـ بدورها ـ عن نسخة مؤلفها المغفورله ؛ وقد جاءت صحيحة متقنة خالية من الخطأ والتحريف .

وقد أرجعت ما ذكر فيها من آيات كريمة وأحاديث مباركة الى مظانها في القرآن المجيد وكتب الحديث ، تسهيلاً للقارىء الكريم فيما إذا أراد الرجوع

الى الاصول ، والله أسأل أن يوفقني الى نشر أمثالها من التراث الدائر . خدمة للثقافة الاسلامية والقارىء العربي ، ومن الله المعونة والتوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد وهو المستعان

إن الله ـ جل شانه ـ قد اقتضت حكمته ولطفه بعباده في دلالتهم على مقام الٰهيته في علمه وقدره وإرادته أن يجعل نظام العالم في أحواله وادواره ومواليده مبنيًا ـ نوعًا ـ على قوانين الأسباب والتسبيب في المسببات ، المرتبطة بالغايات والحكم ، والدالة على قصدها .

وهو الخالق للسبب والمسبب والجاعل للتسبيب ، وبيده الأسباب وتسبيباتها في وجودها وبقائها وتأثيرها وتحكيم بعضها على بعض ، فقد يعدم السبب ، وقد يبطل تأثيره ، وقد يمنع تأثيره بسببٍ آخر ، وقد يعدم ما يحسب الناس انه موضوع القانون المقرر ويقيم غيره مقامه ، وهذا هو مقام البداء والمحو والاثبات وهو ـ جل شأنه ـ عالم منذ الأزل بما تؤدي اليه مشيئته من المحو والاثبات ، وهذا العلم هو : ﴿ أم الكتاب ﴾ .

فالمحو انما هو لما له نحو ثبوتٍ بتقدير الأسباب وتسبيباتها وسيرها في التسبيب ، وعلى ذلك يجري ما روي في « اصول الكافي[1] » في صحيحة هشام

---

(١) أصول الكافي : هو المجلد الأول من كتاب « الكافي » الموسوعة الشهيرة في الحديث عند الشيعة الامامية ، تأليف الشيخ الثقة محمد بن يعقوب الكليني المتوفي عام (٣٢٩ هـ) ، وقد اعتمدنا في ارجاع الاخبار على النسخة المطبوعة في ايران عام (١٢٧٨ هـ) بنفقة محمد حسين الكازراني .

وحفص عن ابي عبدالله (ع) : (هل يمحى إلا ما كان ثابتاً ؟ ـ الرواية)[١] إذ لا يعقل محو ما هو ثابت الوقوع بعينه في علم الله وامّ الكتاب .

وأما كون المراد من المحو هو إفناء الموجود، ومن الاثبات ايجاد المعدوم أو إبقاء الموجود ـ كما ذكر في صدر السؤال[٢] ـ فيدفعه :

(أولاً) : انه خلاف ظاهر الآية الكريمة وسوقها ، لأن استعمال المحو ومقابلته بأمّ الكتاب انما يناسب مقام التسجيل والكتابة ، التي هي كناية عن التقدير والتسجيل بسير الاسباب ـ وان كان نوعيّاً ـ ، ولا يناسب في المقام إفناء العين الموجودة ، مضافاً الى أنه عند ارادة الافناء لا يبقى لقوله تعالى : ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾[٣] معنى تأسيسي ترتبط به أطراف الكلام في الآية ، ويناسب ذكر المحو والاثبات ، كما لا ينبغي أن يخفى .

ويدفعه (ثانياً) : احتجاج الامام (ع) بهذه الآية للبداء ، وكذا الكثير من استشهادات الأئمة بهذه الآية .

وأما البداء فهو بمعنى الظهور . مأخوذ من : بدا يبدو بَدْواً وبُدُوّاً وبداءةً وبَداءً وبُدوءً ، فيقال : فلان بدا له في الرأي أي ظهر له ما كان مخفياً عنه ، وفلان برزفبدا له من الشجاعة ما كان مخفياً عن الناس ، فمعنى « بدا » في المثالين واحد ، ولكن الاختلاف فيهما جاء من ناحية اللام وربطها للظهور ، فالبداء المنسوب الى الله جلّ شأنه انما هو بمعنى المثال الثاني . أي : ظهر لله من المشيئة ما هو مخفي على الناس ، وعلى خلاف مايحسبون .

هذا ما يقتضيه العقل ، ويشهد له من صريح الأحاديث ما رواه في

---

(١) الحديث في أصول الكافي : ٣٤ ، وتتمته : وهل يثبت الا ما لم يكن ؟ .

(٢) يشير المؤلف ـ رحمه الله ـ بقوله هذا الى ورود سؤال عن البداء من قبل بعض الجهات اليه ، والى تحرير هذه الرسالة جواباً على ذلك السؤال .

(٣) سورة الرعد ـ ٣٩ ـ

« اصول الكافي » في صحيح عبدالله بن سنان عن ابي عبدالله (ع) : (ما بدا الله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له)(١)، ورواية عمرو بن عثمان عنه : (ان الله لم يبدُ له من جهل)(٢)، وصحيحة فضيل الآتية عن أبي جعفر (ع)، وصحيحة منصور بن حازم : (سألت ابا عبدالله (ع) : هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس ؟ . قال (ع) : لا . مَنْ قال هـذا فأخزاه الله . قلت : أرأيت ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة أليس في علم الله ؟ . قال (ع) : بلى . قبل أن يخلق الخلق(٣).)

أقول : وان قوله تعالى : ﴿ يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾(٤) ينادي بأن مقام المحو والاثبات هو غير مقام أم الكتاب وعلم الله المكنون ومشيئته وإرادته الأزلية ، بل هو في مقام الظاهر في سير الاسباب وتسبيباتها ، فقد تقتضي مشيئته ـ جلّ اسمه ـ أن يمنع أسباب البقاء وطول العمر عن الزاني وقاطع الرحم ، وقد يمنع الأسباب المهلكة عن واصل الرحم والمتصدّق والداعي ـ مثلاً ـ ، فيمحو في هذه الموارد ما جعله لنوع الأسباب من التسبيب ، وقد لا يمحوه في بعض الموارد لحكمة أخرى ، فيكون قد أثبته . أي أبقاه ثابتاً .

وقد يراد من قوله تعالى : ﴿ يثبت ﴾ انه يثبت حين المحو خلاف المحو ـ والله العالم ـ .

قد كان الناس يحسبون أن اسماعيل بن الصادق (ع) هو الامام بعد أبيه ، لما علموه من أن الامامة للولد الاكبر ما لم يكن ذا عاهة ، ولأن الغالب في الحياة الدنيا وأسباب البقاء أن يبقى اسماعيل بعد أبيه (ع) ، فبدا وظهر بموت اسماعيل

---

(١) أصول الكافي : ٣٥
(٢) » » : ٣٥
(٣) » » : ٣٥
(٤) سورة الرعد ـ ٣٩ ـ

أن الامام هو الكاظم (ع) ، لأن عبدالله كان ذا عاهة ، فظهر لله وبدا للناس ما هو في علمه المكنون ، وكذا في موت محمد بن الهادي (ع) ، حيث ظهر للشيعة ان الامام بعد الهادي هو الحسن العسكري (ع) ، وهذا الظهور للشيعة هو الأمر الذي أحدثه الله بموت محمد كما قال الهادي للعسكري (ع) عند موت محمد : (احدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً) ، فالامامة ثابتة للكاظم والعسكري منذ الأزل ، وقد جاء في الأحاديث البالغة حدّ التواتر أو ما يقاربه عن النبي (ص) والأئمة ممن هو قبل الكاظم والعسكري عليهم السلام ما يتضمن النص على إمامتهما في جملة الأئمة عليهم السلام ، وقد ذكر بعض هذه الأخبار بنحو الاشارة اليها في كتاب « نصائح الهدى »[1].

والى ما ذكرناه في معنى البداء والمحو يرشد ما رواه في أصول الكافي ، كصحيحة زرارة عن أحدهما (ع) : (ما عبدالله بشيء مثل البداء)[2]، ومعتبرة هشام بن سالم عن أبي عبدالله (ع) : (ما عظم الله بشيء مثل البداء)[3]، وصحيحة الريّان عن الرضا (ع) : (ما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر وأن يقرّ لله بالبداء)[4]، ونحوها معتبرتا مرازم وجهم عن ابي عبدالله (ع)[5] ،

(١) راجع في أمر امامة الكاظم والعسكري (ع) كتاب الارشاد للشيخ المفيد : ٣٠٤ و ٣٦٠ - ٢٦١ ، ونصائح الهدى للشيخ البلاغي

(٢) اصول الكافي : ٣٤

(٣) » » : ٣٤ بتغيير بسيط

(٤) » : ٣٥

(٥) قال مرازم : سمعت ابا عبدالله يقول : (ما تنبأ نبي قط حتى يقر لله بخمس : بالبداء ، والمشية ، والسجود ، والعبودية ، والطاعة) . اصول الكافي : ٣٥ ، وقال جهم : قال أبوعبدالله (الله جل وعز أخبر محمداً (ص) بما كان منذ كانت الدنيا وبما يكون الى انقضاء الدنيا ، وأخبره بالمحتوم من ذلك ، واستثنى عليه فيما سواه) . اصول الكافي : ٣٥

فان الاعتراف بمجرد أنه يظهر لله من الأمور ما لم يكن محتسباً ـ بل كان المحتسب غيره ـ ليس له أهمية بالنسبة الى جلال الله .

إذن . فالفضل المذكور والأهمية الكبرى للاعتراف بالبداء ما هو إلا لأنه يرجع الى الاعتراف بحقيقة الالهية ، وان الموجد للعالم انما هو اله موجد بالارادة والقدرة على مقتضى الحكمة ، متصرف بقدرته بما يتراءى من العلل وتعليلاتها التي هي من صنعه وايجاده ، والخاضعة لتصرف مشيئته فيها ، لا أن وجود العالم منوط بالتعليلات الطبيعية ومحض اقتضاء الطبيعة العمياء فاقدةالشعور والارادة . « تعالى الله عما يقولون » .

وعلى ذلك تجري صحيحة محمد بن مسلم عن ابي عبدالله (ع) : (ما بعث الله نبياً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال : الاقرار [له] بالعبودية ، وخلع الانداد وان الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء)(١)، فالبداء وان الله يمحو ما يشاءويثبت وعنده أم الكتاب يكون الاعتراف بحقيقتها المعقولة ومدلول الاحاديث هوالفارق بين الالهية والطبيعية ، وهو الفارق بين الاعتراف بحقيقة الالهية وبين المزاعم المستحيلة في مسألة العقول العشرة المبنية على التقليد الاعمى للفلسفة اليونانية ومزاعم أوهامها ، مع الخبط في أمر الايجاد بالارادة والتعليل الطبيعي .

ثم ان مقتضى دلالة العقل والنقل هو أن البداء والمحو لا يقعان فيما أخبر الله به أنبياءه وأوصياءهم ، وأخبروا به عنه جلّ اسمه .

أما دلالة العقل فلأنّ وقوع ذلك يستلزم عدم وثوق الناس بهم وبأخبارهم وحمل الناس لهم على الجهل والكذب على الله فيسقط محلهم ، وينتقض الغرض من نصبهم للنبوة والامامة ، ونقض الغرض قبيح ومحال على الله جل اسمه .

---

(١) اصول الكافي : ٣٤

وأما النقل فمنـه ما رواه في أصول الكافي في صحيحة الفضيل عن أبي جعفر (ع) : (العلم علمان ، فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه ، وعلم علّمه ملائكته ورسله ، فما علمه ملائكته ورسله فانه سيكون ـ لا يكذب الله نفسه ولا ملائكته ولا رسله ـ ، وعلم عنده مخزون يقدم منه ما يشاء ، ويؤخر منه ما يشاء ويثبت ما يشاء)[1] ، ونحوها صحيحته الاخرى عن ابي جعفر[2] ورواية ابي بصير عن ابي عبدالله (ع)[3] .

وايضاً : ان الانبياء والأئمة لا يخبرون عن المغيبات من اطلاعهم على الأسباب وقوانينها التي هي معرض البداء والمحو كما يسميها الناس بـ « النفوس الفلكية والارواح القدرية » ـ إن هي إلا أسماء ـ ، فانه اعتماد على الظن وهو خلاف وظيفتهم الكريمة ويلزم من ذلك أن يجعلوا أنفسهم معرضاً لعدم الوثوق بهم ، وعدّ الناس لهم من الكاذبين حينما يظهر خلاف ما أخبروا به ، وهـذا نقض لغرضهم في دعوة الناس الى الله والى قبول أقوالهم وإرشادهم وتصديقهم ، ونقض الغرض قبيح مستحيل على المعصوم .

إذن . فلا يخبرون الناس بالغيب اعتماداً على الأسباب أو الألواح القدرية ـ كما يقال ويزعم ـ ، وإن كانوا أكمل البشر في تلك العلوم .

ومما يشهد لذلك ما روي عن أمير المؤمنين (ع) من قوله في بعض المواطن : (ولولا آية سبقت في كتاب الله ـ وهي قوله تعالى : يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ـ لأخبرتكم بما يكون الى يوم القيامة)[4] . يريد

(١) اصول الكافي : ٣٤

(٢) قال الفضيل : سمعت ابا جعفر يقول : (من الامور امور موقوفة عند الله يقدم منها ما يشاء ويؤخر منها ما يشاء) . اصول الكافي : ٣٤ .

(٣) قال ابو بصير : قال ابو عبدالله : (ان لله علمين علم مكنون مخزون لا يعلمه الا هو . من ذلك يكون البداء ، وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياءه فنحن نعلمه) . اصول الكافي : ٣٤ ـ ٣٥

(٤) راجع بحار الأنوار : ٢ / ١٣٢

ـ صلوات الله عليه ـ ان هذه العلوم المستندة الى سير الاسباب والتسبيبات والتقدير هو أعلم الناس بها ، وأكملهم فيها ، ولكنه لا يعتمد عليها ، ولا يخبر الناس بمداليلها ، لأنها معرض للمحو .

فالمحصل مما ذكرناه ان المحو والاثبات في الآية الكريمة ليس المراد منها افناء الموجود وابقاءه ، أو تجديد موجود آخر ، وان البداء والمحو لا يتعلق بما في ام الكتاب ، ولا بما يخبر الله به انبياءه والأئمة ، ولا بما يخبرون به عن الله من أنباء الغيب ، ولا يخبرون عما هو معرض للبداء والمحو ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ .

« والحمد لله أولا وآخراً »

نفائس المخطوطات

المجموعة الأولى

١ ـ الابانة عن مذهب أهل العدل لصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ
٢ ـ عنوان المعارف في ذكر الخلائف » » » » »
٣ ـ ايمان أبي طالب للشيخ محمد بن محمد المفيد » » ٤١٣ هـ
٤ ـ الاضداد في اللغة لابن الدهان النحوي » » ٥٦٩ هـ

المجموعة الثانية

٥ ـ ديوان ابي الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ
٦ ـ رسالة أبي غالب الزراري في آل أعين
٧ ـ الاصول الاعتقادية لشريف المرتضى » » ٤٣٦ هـ
٨ ـ رسالة التذكرة لصاحب بن عباد » » ٣٨٥ هـ

المجموعة الثالثة

ديوان السموأل

صنعة أبي عبد الله نفطويه